بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

لا شك في أن الرحلة لها دور كبير في معرفة خصائص الشعوب؛ فهي تزودنا بمعلومات مباشرة مستمدة من الملاحظة والمشاهدة، بل يمكننا القول إنها معاينة الواقع الفعلي لخصائص تلك الشعوب، وما تميزت به من تقدم في الأحوال المختلفة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وغيرها، وتزداد الرحلة أهمية في مدى تغطيتها للمحتوى الجغرافي الذي قطعه صاحبها، وإلمامه بطبائع أهلها ومعالم حضارتهم.

وتعد رحلة ابن بطوطة من أهم مصادر الدراسات لأحوال المجتمع الهندي والصيني خلال الفترة الأخيرة من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي؛ خصوصًا وأنه كان على رأس وفد رسمي ممثلًا لمملكة الهند إلى بلاد الصين، وقد حرص ابن بطوطة خلال سفارته إلى الصين على نقل مشاهداته، ولعل من أبرزها ما تعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الرحلة– ابن بطوطة– سفارة– الأحوال الاقتصادية والاجتماعية– الهند– الصين.

Abstract:

Undoubtedly, the act of journeying assumes a pivotal role in discerning the distinctive traits of peoples. It provides us with direct information derived from observation and sightseeing. Moreover, we can to argue that it embodies a firsthand encounter of the actual reality of those peoples' characteristics, and the advances they achieved in various political, cultural, economic, social, religious aspects, among others. The significance of journey is heightened by the extent of its coverage of the geographical area traversed by the traveler, coupled with his deep understanding of the inherent characteristics of the populace and the hallmark features of their civilization.

Ibn Battuta's journey stands as one of the most important sources of studies on the conditions of Indian and Chinese societies during the latter part of the ٨th Hijri century/١٤th century AD, especially that he was at the head of an official delegation representing the Kingdom of India to the country of China. During his embassy to China, Ibn Battuta was keen to convey his observations, the most prominent of which are perhaps those related to the economic and social aspects.

Keywords: Journey, Ibn Battuta, Embassy, Economic and Social Conditions, India, China.

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على صفوة الأنبياء وخاتم المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين

أما بعد...

لقد اشتهرت الحضارة الهندية والصينية بتقدم نظمها الاقتصادية وتقاليدها الاجتماعية لا سيما في فترة العصور الوسطى، فأما الأولى فقد تميزت بنشاطها التجاري الضخم؛ بسبب وفرة انتاجها الزراعي المتنوع، كذلك وجود العديد من الموانئ الضخمة بها التي تتسع لأعداد كثيرة من السفن الأمر الذي جعلها محطة مهمة للتجارة الدولية تختلف إليها السفن من موانئ عدن وفارس واليمن، مما ساعدها على ازدهار نشاطها التجاري.

وأما بلاد الصين فقد أشاد الرحالة والجغرافيون المسلمون بمهارة أهلها في الصناعات المختلفة، بالإضافة لنشاطها التجاري، ويبدو أن تقدمها التجاري يعود بشكل أساسي إلى التنظيمات الداخلية التي ضمنت للتجار الحفاظ على بضائعهم خلال تنقلاتهم بين البلدان الصينية.

ويعد ابن بطوطة من أشهر الرحالة المسلمين الذين اهتموا بتدوين أهم المظاهر الحضارية في بلاد الهند والصين، وذلك من خلال رحلته إليهما في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

ففي عام (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) مضى ابن بطوطة في سفارة رسمية إلى الصين بتكليف من ملك الهند، وقد حرص هذا الرحالة خلال سفارته على نقل مشاهداته وما يميز تلك المجتمعات البعيدة من نظم وعادات وتقاليد، كما حرص أيضًا على نقل صورة حية عن أوضاع المسلمين في تلك النواحي، ومن هنا كان لا بد من إظهار هذا الجانب في رحلة ابن بطوطة، فكانت الدراسة بعنوان " **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الهند والصين من خلال سفارة ابن بطوطة إلى الصين (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)**".

محاولًا إلقاء الضوء على هذا الموضوع من خلال العناصر التالية:

المبحث الأول: التعريف بابن بطوطة.

المبحث الثاني: مكانة ابن بطوطة في البلاط الهندي.

المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية للمدن الهندية من خلال سفارة ابن بطوطة.

المبحث الرابع: الحياة الاقتصادية للمدن الصينية من خلال سفارة ابن بطوطة.

المبحث الخامس: الحياة الاجتماعية في بلاد الهند والصين من خلال سفارة ابن بطوطة.

الخاتمة: تضمنت أهم نتائج الدراسة.

المبحث الأول:

التعريف بابن بطوطة، والنطاق الجغرافي لرحلته (٧٠٤- ٧٧٩هـ/١٣٠٤- ١٣٧٧م):

ولد أبوعبد الله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي بطنجة[١] عام (٧٠٣هـ/١٣٠٤م)، وينتسب إلى قبيلة "لواته"[٢] البربرية، ولقبه بـ"الطنجي" يرتبط بمولده بمدينة طنجة[٣]، وقد عُرف أيضًا في بلاد المشرق باسم "شمس الدين"[٤].

أما لقبه بـ" ابن بطوطة" فهو ليس جزءًا من اسمه، وإنما يعود إلى سيدة من أسرته كان اسمها فاطمة، وجرت العادة في إفريقيا أن تنسب العائلات إلى أسماء أمهاتهم، وهذا الاسم تحول فيما بعد إلى بطة، وتسمى بطة في المغرب بطوطة، وهكذا حظي الرحالة عبدالله الطنجي بلقب ابن بطوطة نسبة إلى تلك السيدة[٥].

ورغم كثرة ما كتب عن ابن بطوطة ورحلته إلا أن الشطر الأول من سنى حياته غير معروف بخلاف ما ذكره هو عرضًا في سياق رحلته، فقد أشار ابن بطوطة في مستهل رحلته أنه ينحدر

---

(١) طنجة: : مدينة مغربية، تقع على مقربة من مضيق جبل طارق، تقابل الجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس، وهى آخر حدود إفريقيا من جهة المغرب، وميناؤها من الموانئ المزدهرة بالتجارة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، فُتحت خلال العهد الأموي، بقيادة موسى بن نصير سنة (٨٧هـ/٧٠٨م). ياقوت الحموي: شهاب الدين أبوعبدالله الرومي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (ط٢: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ح٣، ص١٤٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/١٤٢١م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ت. محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد، الدكن– الهند، (ط:٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ج٥، ص٢٢٧.

(٣) إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، ص٦، أحمد العوامري بك، محمد أحمد جاد المولي بك: مهذب رحلة ابن بطوطة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٣٣، ج١، المقدمة ص ع، أسمهان بدير صيداوي: صورة المرأة في رحلة ابن بطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة– جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٧٣، شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته، مطبعة الآداب، بغداد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٢٠، عبدالرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٥٥٩، محمد المناوي: السودان الغربي من خلال رحلة ابن بطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة– جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢١٨.

(٤) خصباك: ابن بطوطة، ص٢١.

(٥) ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ت. عبدالهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٨٠.

من بيت فقهاء تولى الكثير من أفراده القضاء[١]، ولا بد أن أبا عبدالله محمد بن بطوطة قد تعلم على طريقة أمثاله من الشبان في ذلك العصر، فقد حفظ القرآن الكريم، ولا بد أنه تعلم شيئًا من علوم الدين والفقه لا سيما ما يتعلق بالمذهب المالكي الذي يسود بلدان شمال افريقيا[٢].

ومن الواضح أن رغبة ابن بطوطة في الرحلة والاستكشاف[٣] أعجلته عن إتمام دراسته، فقد غادر موطنه عام ٧٢٥هـ/١٣٢٦م[٤]، وهو في الثانية والعشرين من عمره[٥]، وكان دافعه إلى الخروج هو هو الرغبة في أداء فريضة الحج، فيقول:" كان خروجي من طنجة ... عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدًا حج بيت الحرام، وزيارة قبر الرسول –عليه أفضل الصلاة والسلام– منفردًا عن رفيق آنس بصحبته"[٦].

ويغلب على الظن أن ابن بطوطة لم يكن ينوي أداء فريضة الحج فحسب، فلم يكن من المألوف في عصر يصعب فيه السفر أن يفكر الرجال في مرحلة شبابهم بأداء فريضة الحج، أيضًا سرعة خروجه دون أن ينتظر موعد خروج الركب لكى يسير في جملته، كذلك كان ينبغي عليه أن يقفل راجعًا إلى بلده بعد أن أشبع نزعته الدينية، لكنه بدلًا من ذلك انتهز الفرصة التي سنحت له فرافق ركب الحج العراقي ليتسنى له زيارة العراق، وهذا يدل على حب الاستطلاع لديه، لا سيما وقد شهد ما تعرضت له قافلة الحج من مخاطر أثناء سفرها بين بلدان المغرب العربي وفي بلاد الشام وغير ذلك[٧]، وربما أوحت إليه نزعته الدينية أن تطوافه الطويل بين البلدان نوع من الفرض الديني، حيث حيث أشار في عدة مواضع من رحلته ذلك الشغف في الترحال مصحوبًا بالنزعة الدينية[٨]، وكذلك مدى شغفه بلقاءاته بكبار رجال الدين والأولياء التي تزخر بهم الرحلة.

---

(١) الرحلة، ج١، ص٨٠.

(٢) أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، طبع الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة (د.ت)، ج١، ص٤٢٢.

(٣) مصطفي نشاط: البعد التجاري في رحلة ابن بطوطة إلى السودان، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة– جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٥٣.

(٤) محمد زنبير: الشرق العربي كما يتراءى من رحلة ابن بطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة– جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٤٢١.

(٥) بدر رحيم الرشيدي، فيصل سيد طه: واقع الخرافة والأسطورة دراسة تاريخية مقارنة بين كتابي الهند لبرزك بن شهريار وتحفة النظار في غرائب الأمصار لابن بطوطة، حوليات آداب عين شمس، مج ٤٤، يوليو– سبتمبر ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص٣٣٧.

(٦) الرحلة، ج١، ص١٥٣، كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ج١، ص٤٢١.

(٧) الرحلة، ج١، ص١٧٤، خصباك: ابن بطوطة، ص٢١، ٢٢.

(٨) انظر الرحلة، ج١، ص١٨٦، ج٤، ص١٦،١٥.

ويعد ابن بطوطة من أعظم الرحالين في زمنه؛ فلم يسبق لرحالة آخر في عصره –عربيًا كان أم أفرنجيًا– أن زار كل تلك الأصقاع، وقطع كل تلك المسافات[١]، فقد انساق بحبه الأسفار إلى التجوال في بلدان العالم المعروف في أيامه، فطاف في مصر وسوريا وجزيرة العرب، وإفريقية الشرقية، وآسية الصغرى، وروسيا الجنوبية والهند والصين، والأندلس والسودان[٢]، واستغرقت رحلاته كلها زهاء تسع وعشرين سنة[٣]، مما حقق له تفوقًا على جميع رحالة القرون الوسطى[٤].

فابن بطوطة هو آخر رحالة انتظم محيط رحلاته العالم الإسلامي بأجمعه، ومهما اختلفت الآراء حول رحلته[٥] فإن من المستحيل إنكار أنه كان آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية، أي أنه لم لم يكن نقالة اعتمد على كتب الغير، بل كان رحالة انتظم محيط أسفاره عددًا كبيرًا من الأقطار[٦].

---

(١) خصباك: ابن بطوطة، ص٤١.

(٢) ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، لسان الدين (ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ٢٠٦، عبد الإله بلميح: مفهوم اللون في رحلة ابن بطوطة إلى السودان الغربي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة– جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٠٥.

(٣) كرم البستاني: رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص٥.

(٤) خصباك: ابن بطوطة وحلاته، ص١١.

(٥) أشار ابن خلدون في تاريخه إلى ابن بطوطة، وكانت اشارته تنم عن تجاهل لمكانته، بل والتشكيك في رحلته، حيث قال:" ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي... ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض... فتناحى الناس بتكذيبه ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس ابن وردار... ففاوضته في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه". ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ت. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (ط:١، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م)، ج١، ص٢٢٧، ٢٢٨، عبدالرحمن العماري: خطاب الرحلة بين ابن بطوطة وماركو بولو، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة– جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٣٥٥، محمد المناوي: السودان الغربي، ص٢١٨.

كذلك أشار الكاتب الألماني تَيلْمان تُرْواش أن ابن بطوطة، وشكك في رحلته فذكر أنه نسخ أجزاء منها من مصادر أخرى، فعلى سبيل المثال، رحلته إلى مدينة بلغار لا يمكن أن تكون قد حصلت، أما وجوده في القسطنطينية والصين فهو موضع شك، كما أشار أنه نقل أجزاء من رحلة العبدري المغربي، وأجزاء من رحلة ابن جبير، وغيرهما. تيلمان ترواش: إعادة كتابة برني؟ وصف سلطة دلهي في رحلة ابن بطوطة/ابن جزي وفي تاريخ فيروز شاه لضياء الدين برني، ترجمة: عبد النبي ذاكر، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة لودفيغ ماكسيميليان، ميونخ، مج٥، ع١، مارس ١٤٢٣هـ/٢٠٢٢م، ص٤٧،٤٨.

(٦) كراتشوفسكي: الأدب الجغرافي، ج١، ص٤٢١.

ولقد أعجب ابن بطوطة بكثرة تجواله ورحلاته التي وصل فيها إلى ما لم يصل إليه أحد قبله، وهذا ما أشار إليه في أكثر من موضع، فقال:" فقد بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السياحة في الأرض وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما أعلمه"[١]، وقال في موضع آخر :" ولقيت بهذه المدينة (مدينة بَلِى كَسرِي، من بلاد آسيا الصغرى) الشيخ الصالح عبد الله المصريّ السايح وهو من الصالحين، جال الأرض إلا أنه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب ولا الأندلس ولا بلاد السودان، وقد زدت عليه بدخول هذه الأقاليم"[٢]، وفي موضع ثالث قال:" ولما دخلت عليه (يقصد الشيخ جلال الدين التبريزي) قام إلي وعانقني وسألني عن بلادي وأسفاري، فأخبرته، فقال لي: أنت مسافر العرب، فقال له من حضر من أصحابه: والعجم يا سيدنا"، وأطلق عليه الشيخ السابق " سائح المغرب" [٣].

وتأتي **أهمية** رحلة ابن بطوطة في أنه حمل على نفسه مهمة استطلاع العالم الإسلامي كله في عصره استطلاعًا مباشرًا يقوم على المشاهدة والمعاينة، فكانت رحلته بمثابة تقرير عن أحوال الأمة الإسلامية خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وضرب أحسن مثل عملي على ما ساد روح المسلمين في عصره من حب للمغامرة، واعتزاز باتساع إمبراطوريتهم[٤].

يقول المستشرق ريجيس بلاشير: إن لهذا الكتاب أهمية فائقة في التعرف على العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي، ففيه يمكن أن نكتشف معلومات تاريخية دقيقة ومفيدة لا سيما تلك التي لا تحصى والمتعلقة بعقائد وبعادات وأخلاق السكان كما يراها هذا الرحالة المسلم[٥].

فقد استطاع ابن بطوطة أن يكشف عن ناحية من أجمل نواحي الحضارة الإسلامية، وهي ناحية ترابط الأمة وتآخيها، فقد قطع الرجل هذه المسافات الطويلة دون أن يشعر أنه خرج من بلده أو فارق أهله، ووجد في كل مكان من يستقبله ويؤويه، فمن خلال رحلة ابن بطوطة نجد أنفسنا أمام عالم واسع تسكنه أمة واحدة يربط بين أفرادها رباط الإسلام والمودة والإنسانية، وإذا كانت الأطر السياسية قد تدهورت فإن الأطر الاجتماعية والأخلاقية ما زالت قائمة؛ لأن الأمة الإسلامية كانت قد أخرجت نفسها من نزاعات السياسة داخل نطاقها، وعاشت بعيدًا عن نزاعات الرؤساء، آمنة في ظل العقيدة الواحدة، عقيدة التوحيد والسلام[٦].

---

(١) الرحلة، ج٢، ص١٧.

(٢) الرحلة، ج٢، ص١٩٧.

(٣) الرحلة، ج٤، ص١٠٥.

(٤) العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، ص ص١٠- ٣٠.

(٥) حميدة: الجغرافيين العرب، ص٥٦٢.

(٦) حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، ص٢٤.

وبعد حوالي ربع قرن من الزمن، جاب خلالها مختلف البقاع والأصقاع يقرر ابن بطوطة العودة إلى بلده[١] حاملًا صورة فريدة عن الحالة الاجتماعية في بلاد العالم الإسلامي عن عصره، إذ خلت مشاهداته من الإطناب الجاف في ذكر جغرافية البلاد التي اجتازها، ووصف جبالها وأنهارها، وإنما جاءت صورة اجتماعية تنبض بالحياة عن أحوال المسلمين، ولا سيما الأشخاص الذين التقى بهم أو تعامل معهم، ونال بذلك هذا الرحالة قصب السبق على سائر الرحالة المسلمين وغيرهم، وضرب أحسن مثل عملي على ما ساد روح المسلمين في عصره من حب للمغامرة، واعتزاز باتساع إمبراطورتيهم[٢].

بين ابن بطوطة وماركو بولو:

يعد ماركو بولو[٣] من أشهر رحالة العصور الوسطى، ولقد اقترن الحديث عن ابن بطوطة بالحديث عن ماركو بولو لدى كل الذين اهتموا بالرحالة، يقول كراتشكوفسكي: إن ابن بطوطة يعد منافسًا خطيرًا لمعاصره ماركو بولو، فالرحالة المغربي لا يستغني عن الرجوع إليه أي باحث يود الخوض في تاريخ الأوردو الذهبي وآسيا الوسطى[٤].

كما أضاف كراتشكوفسكي أنه لا يوجد أحد من الرحالة يداني ابن بطوطة في سعة استشراقه العالمي غير معاصره البندقي، ويؤلف كل من هذين الأثريين تتمة صالحة للآخر فيما يتصل بمعرفتنا بآسيا؛ لأن ماركو بولو وفق أن يقدم إلينا حقائق عن الشرق الأقصى، في حين قدم ابن بطوطة معلومات أوثق بالأحوال الثقافية في العالم الذي وصفه[٥].

---

(١) أحمد الفاسي: موقع رحلة ابن بطوطة في المشاريع السياسية والاقتصادية للسلطان المريني أبي عنان، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص١٤٤.

(٢) العدوي: ابن بطوطة، ص١٠.

(٣) ولد ماركو بولو بمدينة البندقية (فينيسيا) في سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م، وهو من أنباء العائلات النبيلة المشتغلة بالتجارة مع القسطنطينية، انطلق ماركو بصحبة أبيه وعمه في رجلة تجارة إلى الصين سنة ٦٧٣هـ/١٢٧١م، وواصل آل بولو رحلتهم مدة ثلاث سنوات ونصف، حتى وصلوا إلى بلاط قبلاى خان، واستقبلهم الخان بالحفاوة والترحاب، وتعلم ماركو لغة التتار، واستخدمه الخان في بعض الوظائف العامة، حيث أرسله مديرًا زائرًا لعدة ولايات نائية، مما ساعد ماركو على التعرف على المجتمع الصيني وعاداته، وبعد انقضاء ما يقرب من سبعة عشر عامًا قضوها في خدمة الخان، عاد آل بولو إلى وطنهم سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م، وبعد حياة حافلة بالأحداث توفي ماركو بمدينة البندقية سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، ودفن خارج باب كنيسة سان لورنزو. رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط.٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ج١، ١٥ وما بعدها.

(٤) كراتشوفسكي: الأدب الجغرافي، ج١، ص٤٢١،٤٢٢.

(٥) كراتشوفسكي: الأدب الجغرافي، ج١، ص٤٢١،٤٢٢.

ولعل المقارنة بين الاثنين قد بولغ فيها أحيانًا ولو أنها لا تخلوا من العلاقة في بعض جوانبها، فالصياغة الأدبية لكلا الرحلتين لا ترجع إلى صاحب الرحلة نفسه بل إلى شخص آخر[١]، أيضًا إن كلا الرجلين لم يكن عالمًا جغرافيًا، ولكن معلومات الرحالة المغربي الطبوغرافية أوثق وأجدر بالاعتماد من تلك التي نجدها في رحلة زميله الإيطالي[٢].

على أنه مما يميز ابن بطوطة خلال رحلته أنه استطاع أن يمتزج مع سكان البلاد التي وصلها عن طريق المصاهرات، وعن طريق الوظائف الرسمية التي تقلدها، والاتصالات التي كان يجريها مع مختلف الأوساط، الأمر الذي كان يرضي فضوله وتطلعاته المتنوعة والمتجددة في ذات الوقت.

يقول حسين مؤنس: أنه يكفي لكي نعرف حجم الرجلين ونعرف مع هذا مدى رصيد الجانب المعرفي لكلا العملين أن نقوم بجرد لعدد الأسماء الجغرافية التي وردت عند هذا وذاك، وأن نعد الأعلام الشخصية التي جاءت في مذكرات الأول والثاني، يكفي ذلك لنخلص إلى الإشادة بذاكرة الرحالة المغربي التي استطاعت أن تختزن كل تلك الأسماء جغرافيا وإنسانيًا، وأن تحتفظ بشكلها وضبطها ومواقعها بالرغم من العدوان الذي وقع على مذكراته، وحتى جانب الاتحاف والإطراف في كلا الرحلتين كان يبرز دون تردد تفوق ابن بطوطة[٣].

---

(١) من الأمور المشركة بين رحلة ماركو بولو ورحلة ابن بطوطة أن أحدهما لم يدون رحلته، فالأول أملى رحلته على رفيق له في السجن يدعى "رستكيان" فقد وقع ماركو أسيرًا سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، على أثر معركة بين البندقية وجنوة، وظل في السجن لمدة ثلاث سنوات، ثم قام بتحرير رحلته الكتاب بولي، ولم يقابل كتاب ماركو بولو بالتصديق من معاصريه، ثم لقي كتابه رواجًا في الشطر الأخير من العصور الوسطى، وعلى الرغم من انقضاء ستة قرون، لا يزال المرجع الرئيسي فيما يتعلق بأجزاء من آسيا الوسطى والإمبراطورية الصينية المترامية الأطراف. رحلات ماركو بولو، ج١، ص٢٠، فرنسس وود: ماركو بولو هل وصل إلى الصين؟، ترجمة: فاضل جكتر، قَدْمُس للنشر والتوزيع، دمشق- سوريا (ط: ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص١٧٥.

أما ابن بطوطة فقد أملى رحلته بعد عودته إلى المغرب، حيث نزل مدينة فاس في بلاط السلطان المريني أبوعنان المريني(٧٤٩-٧٦٠هـ/١٣٤٨- ١٣٥٨م)، الذي أعجب بأسفار ابن بطوطة، وأمر باستنساخ رحلته، وأسند أمره عام ٧٢١هـ/ ١٣٢١م إلى المحرر الأدبي ابن جزي (أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي ت. ٧٤١هـ/١٣٤٠م). الرحلة، ج١، ص٧٩.

(٢) كراتشوفسكي: الأدب الجغرافي، ج١، ص٤٢١،٤٢٢.

(٣) الرحلة، ج١، ص٩٣.

المبحث الثاني

مكانة ابن بطوطة في البلاط الهندي، وسفارته إلى الصين:

دخل ابن بطوطة الهند[١] أول المحرم عام (٧٣٤هـ/١٣٣٣م)[٢]، أيام السلطان فخر الدين محمد تغلق ثاني السلاطين من آل تغلق الذي تولى حكم الهند بعد أبيه عام (٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، وسرعان ما نال ابن بطوطة إعجاب سلطان الهند الذي كان من عاداته إكرام الغرباء لا سيما الفقهاء منهم، كما أن أهل تلك البلاد كانوا يحترمون العربي ولا يدعونه إلا بالتسويد[٣]، ولهذا دخل ابن بطوطة الهند شخصية محترمة لها مكانتها[٤].

وكان أول مظاهر هذا التكريم الذي ناله ابن بطوطة إنزاله في دار هيئت له، يقول في رحلته:" ولما وصلت إلى الدار التي أعدت لنزولي وجدت فيها ما يحتاج إليه من فرش وبسط وحصر وأوان وسرير الرقاد" ، ثم وصلته ضيافة أم السلطان، ثم ضيافة الوزير، وبلغت مجموع ضيافة الأخير أربعة آلاف دينار، أما ضيافة السلطان فكانت:" ألف رطل هندية من الدقيق... وألف رطل من اللحم، ومن السكر والسمن والفلفل أرطال كثيرة[٥]"، ثم يقول:" وفي أثناء مقامي أمر السلطان أن يعيّن لي من القرى ما يكون فائدة خمسة آلاف دينار في السنة"[٦].

وحين وصول ابن بطوطة إلى الهند، كان سلطانها في موضع يسمى "تِلبت"[٧]، فخرج ابن بطوطة للقائه هناك، فأخذ السلطان بيده وصافحه وخاطبه بأحسن كلام، فقال له:" حلت البركة، قدومك مبارك أجمع خاطرك، أعمل معك من المراحم وأعطيك من الإنعام ما يسمع به أهل بلادك فيأتون إليك"[٨].

---

(١) حول جغرافية بلاد الهند، واستقرار المسلمين في شبه القارة الهندية. ينظر: البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص٤١٨ وما بعدها، أحمد محمود الساعاتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة (د.ت)، ج١، ص٣ وما بعدها.

(٢) يوسف ناوري: صورة الآخر في رحلة ابن بطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٧٠.

(٣) الرحلة، ج٣، ص٢٣٣.

(٤) مؤنس: ابن بطوطة، ص١٥٥.

(٥) الرحلة: ج٣، ص٢٢٦.

(٦) الرحلة: ج٣، ص٢٢٨.

(٧) تلبت: بكسر التاء، وسكون اللام، وفتح الباء، وهي على مسافة سبعة أميال من العاصمة دهلي. الرحلة، ج٣، ص٢٣٠.

(٨) الرحلة: ج٣، ص٢٣٠

وبعد عودة سلطان الهند إلى دهلي رتب لابن بطوطة اثني عشر ألف دينار في السنة، وأعطاه قريتين غير الثلاث التي أخذ، ثم عينه قاضي العاصمة، وجعل مرتبه اثني عشر ألف في السنة، وعين له مجاشر –أي ضياعًا– بمقدارها، وأمر له باثني عشر ألفًا يأخذها من الخزانة، وأعطاه فرسًا بسرجه ولجامه[١].

ثم ولاه السلطان النظر في مقبرة قطب الدين –الذي كان خديمًا له– إلى جانب القضاء، فرتب بها ابن بطوطة قراء لقراءة القرآن الكريم، والطلبة، والإمام، والمؤذنين، والمداحين، والفراشين والطباخين، والحجاب، والنقباء، الأمر الذي أعجب السلطان[٢].

وعلى الجملة فقد تغيرت حال ابن بطوطة منذ دخوله إلى الهند، ونال حظوة بالغة عند سلطانها، فزاد ماله، واتسعت حاله، وعلت مكانته، وأصبح رئيسًا كبيرًا حتى لقد خرج في أمر من أموره إلى قرية تسمى "هَزَار أمروها" بينها وبين دهلي ثلاثة أيام، فاصطحب معه ركبًا من الأتباع فيه خمسة من المغنين يغنون له على الطريق[٣].

تكليف ابن بطوطة بالسفارة إلى الصين:

ذكر ابن بطوطة أن ملك الصين أرسل هدية إلى سلطان الهند محمد تغلق[٤]، وطلب منه أن يأذن له له في أن يعيد بناء معبد بوذي في موضع يعرف "بِسَمْهَل" وكان أهل الصين يقدسون هذا المكان ويحجون إليه، وعندما تغلب عليه الجيش الهندي خربوه وسلبوه.

ولكن سلطان الهند اعتذر لملك الصين، وكتب إليه بأنه لا يجوز بناء هذا المعبد في ديار الإسلام إلا لمن يعطي الجزية، ثم أراد السلطان محمد تغلق أن يكافأ ملك الصين على هديته بهدية خير منها[٥]، يحملها إليها وفد رفيع المستوى[٦].

---

(١) الرحلة: ج٣، ص٢٣٤.

(٢) الرحلة: ج٣، ص٢٤٤.

(٣) الرحلة: ج٣، ص٢٤٥.

(٤) كانت الهدية عبارة عن: مائة مملوك وجارية، وخمسمائة ثوب من الكُمخا منها مائة من التي تصنع بمدينة الزيتون، ومائة من التي تصنع بمدينة الخنسا، وخمسة أمنان من المسك، وخمسة أثواب مرصعة بالجوهر، وخمسة سيوف. الرحلة، ج٤، ص٧.

(٥) كانت هدية سلطان الهند عبارة عن: مائة فرس، ومائة مملوك، ومائة جارية من كفار الهند مغنيات، ومائة ثوب ثوب من القطن تسمى "بيرمية"، قيمة الثوب منها مائة دينار، ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجُز، ومائة ثوب من الثياب المعروفة بالصلاحية، ومائة ثوب من الشيرين باف، ومائة ثوب من الشان باف، ومائة شقة من الكتان الرومي، وأربعة طسوت من الذهب ذات أباريق، وستة طسوت من الفضة، وعشر خلع من ثياب السلطان مزركشة، وعشرة من السيوف، أحدها مرصع الغمد بالجوهر، ودشت بان وهو قفّاز مرصع بالجوهر، وخمسة عشر من الفتيان، وغير ذلك. الرحلة، ج٤، ص٨، ٩.

(٦) الرحلة، ج٤، ص٩.

ونظرًا لمشقة الرحلة إلى الصين وقع اختيار سلطان الهند على ابن بطوطة ليرأس الوفد المكلف بإيصال الهدية، ولعل السبب في اختيار الرحالة الطنجي لهذه المهمة الصعبة؛ ما ذكره السلطان نفسه عن أهم سمات ابن بطوطة من حبه للأسفار والجولان في البلاد[١].

على الناحية الأخرى يمكن ملاحظة أن ابن بطوطة لم يتردد في موافقته على السفارة إلى الصين، بل ربما انتهز هذه الفرصة، ليذهب إليها بشكل رسمي وبدعم من سلطان الهند، مما ييسر له سبل السفر إليها.

خرج ركب ابن بطوطة لهذه السفارة في السابع عشر لشهر صفر سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، وعين السلطان للسفر معه بهذه الهدية كما أخبرنا ابن بطوطة: الأمير ظهير الدين الزنجاني، من أهل العلم، والفتى كافور الشربدار، وإليه سلمت الهدية، وأرسل السلطان معهم الأمير محمد الهروي في ألف فارس ليوصلهم إلى البحر، وأمر السلطان بالضيافة للوفد مدة سفره ببلاد الهند[٢].

(١) الرحلة، ج٣، ص٢٤٩.

(٢) الرحلة، ج٤، ص٩.

المبحث الثالث:

النشاط الاقتصادي للمدن الهندية من خلال سفارة ابن بطوطة:

اجتاز ابن بطوطة خلال سفارته التي انطلقت من الهند إلى الصين العديد من المراحل المهمة التي كان لها دور اقتصادي، وحرص الرحالة المغربي على توضيح هذا الدور لتلك المدن.

أولًا: النشاط الاقتصادي للمدن الهندية:

مدينة كِنْبَاية: تقع مدينة كنباية على الساحل الهندي، بالقرب من مدينة دهلي، وذكر ابن بطوطة أنها من أحسن المدن في اتقان البناء وعمارة المساجد؛ ويرجع سبب ازدهار المدينة إلى نشاطها التجاري؛ حيث سكنها عدد كبير من التجار الغرباء الذين كانوا يتنافسون في بناء الديار الجميلة، والمساجد الرائعة، وكان من بين دورها التي ذكرها ابن بطوطة دار ملك التجار الكازروني، ومنها دار التاجر شمس الدين كلاه دوز ومعناه "خياط الشواشي"، والتاجر علي الحيدري[١].

وكانت المراكب التجارية تأتي إلى مدينة كنباية من مدينة عدن مرسى بلاد اليمن[٢]، واشتهرت المدينة بصناعة الأحذية الكنبائية الصرارة ذات الكعب[٣]، وذكر الإدريسي أن المدينة بها ميناء تجاري ضخم، الأمر الذي أهلها لتصبح ممر تجاري تقصده المراكب من كل الآفاق لتحمل بالبضائع والتجارات ثم تخرج منه إلى كل الجهات[٤].

وذكر ابن بطوطة أن مدينة كنباية تحت حكم الوزير خواجه جهان، وأن أكثر أهلها من الكفار ويدينون له بالولاء[٥]، وبالمدينة جامع حسن للمسلمين، وكنيسة قديمة للنصارى، ومعبد كبير للهنود، وبيت نار للمجوس[٦].

وحسب المسعودي الذي زار مدينة كنباية عام ٣٠٣هـ/٩١٥م فإن حاكمها الذي يدعى" بانيا" ينتمي إلى السلالة الحاكمة الهندية البراهمة التي يمثلها الملك الذي يحمل لقب "البلهرا"، وأضاف

---

(١) الرحلة، ج٤، ص٢٨.

(٢) الرحلة، ج٢، ص١١٣.

(٣) المسعودي: أبي الحسن بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، (ط١: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص٤٤.

(٤) الإدريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، (ط١: ١٤٠٩هـ/١٨٩٩م)، ج١، ص١٨١.

(٥) الرحلة، ج٤، ص٢٣.

(٦) شمس الدين الدمشقي: أبي عبدالله محمد بن ابي طالب (ت: ١٣٢٧هـ/١٦١٧م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت)، ص١٧٣.

المسعودي أن هذا الحاكم كان شديد الاهتمام بمناظرة الغرباء الداخلين إلى المدينة، وخاصة المسلمين [١].

بلاد المُلَيْبَار: تقع بلاد المليبار[٢] على الساحل الهندي الجنوبي، اشتهرت بتجارة الفُلفل؛ لذا أطلق عليها ابن بطوطة اسم "بلاد الفُلفل"، حيث يصدر منها إلى العديد من المناطق، وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب، ويتم غرسها في إناء النارجيل فتصعد فيه كصعود الدوالي، وأوراق شجره تشبه آذان الخيل، وبعضها يشبه أوراق العليق، ويقطف ثمارها في فصل الخريف، وتفرش على الحصر في الشمس، وتقلب حتى تيبس وتسود ثم تباع للتجار[٣].

كما أشار القزويني إلى نباب الفلفل وأثره في ازدهار النشاط التجاري في بلاد المليبار، فذكر أنها شجرة عالية لا يزول الماء من تحتها، وثمرتها عبارة عن عناقيد تميل إلى بعضها إذا اشتدت الشمس، وازدهرت تجارتها في كل جهات العالم من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، كما حمل إلى الغرب الأوروبي عن طريق بحر الشام بواسطة التجار الصليبين أثناء تجوادهم في تلك المناطق[٤].

وذكر ابن بطوطة أن بلاد المليبار فيها اثنا عشر سلطانا من الكفار، لا يفصل بين أحدهم وصاحبه سوى باب خشب منقوش فيه اسم الذي هو مبدأ عمالته، ويسمونه: باب أمان فلان، ونظام حكمهم يشبه إلى حد كبير النظام الفيدرالي فإذا ارتكب أحد السكان مسلم أو كافر ما يوجب عقابه وتمكن من الهرب من بلاد أحدهم ووصل باب أمان الآخر أمن على نفسه، كما أن سلاطين تلك البلاد يورثون ابن الأخت ملكهم دون أولادهم، والمسلمون أعز الناس في هذه البلاد، فالهنود يتنحون عن الطريق عند مرور المسلمين غير أنهم لا يؤاكلونهم ولا يدخلونهم دورهم[٥].

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٤٤

(٢) منطقة مليبار أو (مالابار): هي منطقة في جنوب الهند، تقع بين غاتس الغربية وبحر العرب. وهي تقع الآن وسط ولاية كرالا. وتشمل الأقاليم الأربعة وهي: مالابرم وكاليكوت وترشور وبالاكاد، وهذه المنطقة يسكن فيها كثير من المسلمين.

ولفظ مليبار معناه: التل أو الجبل. وكان البحارة العرب يطلقون اسم مالا على ساحل بر الهند الغربي في القرن السادس عشر ميلادي، ثم أضيفت كلمة بر العربية، فصار مالافار ثم مالابار. وتنوع صياغة هذا اللفظ عند الكتاب العرب في القرون اللاحقة فاستخدموا مليبار ومولليبار ومنيبار ومونيبار، الاسم المحلي الهندي هو "مالايالام ومالايام" ومعناه بلاد التلال ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، تاريخ الولوج ٢٠٢٣/٥/١٧م.

(٣) الرحلة، ج٤، ص٣٨.

(٤) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني(ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م، ص١٢٣.

(٥) الرحلة، ج٤، ص٣٨.

مدينة كَولَم: تعد هذه المدينة من أحسن مدن المليبار، تزدهر أسواقها بأنواع السلع المختلفة، وذكر ابن بطوطة أن تجارها يعرفون بالصُوليين، وهم أثرياء يشتري أحدهم المركب بما فيه من السلع ويعيد شحنه بسلع أخرى، ويسكن بها عدد كبير من التجار المسلمين من أهل العراق وقزوين، والمسلمون بها أعزة محترمون(١).

وكانت السفن التجارية تختلف بين ميناء مسقط العماني وميناء كولم ثم تقلع منها المراكب إلى بلاد الصين(٢)، وقد زار ياقوت الحموي مدينة كولم وذكر أن فيها منابت الساج والبقم، والخيزران والقنا بها كثير جدًا، وعندهم الحجارة التي تعرف بالسندانية يعمل بها السقوف، وأساطين بيوتهم من خرز أصلاب السمك الميت وهم لا يأكلونه، ولا يذبحون، وأكثرهم يأكل الميتة، ومن هذه المدينة يركب إلى عمان، وإليها تنسب أصناف العود والكافور واللبان والقتار(٣).

مدينة مَنْجَرُور: وهي من أهم المدن التجارية بفضل موقعها الجغرافي حيث ذكر ابن بطوطة أنها تقع على خليج يسمى خور الذُنْب، وهو أكبر خور ببلاد المليبار، ولأهميتها التجارية ينزل فيها معظم تجار فارس واليمن، واشتهرت بتجارة الفلفل والزنجبيل(٤).

كما أشار ابن بطوطة أن بالمدينة نحو أربعة آلاف من المسلمين يسكنون ربضًا بناحية المدينة، وأن ملكها يسمى رَامَ دَوْ، وهو من أكبر سلاطين تلك البلاد(٥).

مدينة جُرْفَتَّن: من أهم المدن الساحلية ببلاد المليبار المنتجة للفلفل، والتي تميزت بنشاطها التجاري الواسع تحت رعاية حاكمها "كُويل" وهو من أكبر سلاطين المليبار، وكان هذا السلطان يمتلك العديد من المراكب التي تطوف بين موانئ عمان وفارس واليمن، وذكر الإدريسي أنها بلد أرز كثير وحبوب كثيرة، ويكثر بها شجر الفلفل(٦).

---

(١) رحلة، ج٤، ص٤٩.

(٢) السيرافي: أبوزيد حسن بن يزيد السيرافي (ت: بعد ٣٣٠هـ/٩٤١م)، رحلة السيرافي، طبع المجمع الثقافي، أبوظبي ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٢٦.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٦.

(٤) الرحلة، ج٤، ص٤٠، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٤٥.

(٥) الرحلة، ج٤، ص٤٠.

(٦) نزهة المشتاق، ج١، ص١٩٢، وردت عنده باسم "جرباتن".

مدينة بُدْفَتّن: فهي مدينة كبيرة تقع على خليج واسع، وبها مسجد[١] بجانب البحر خارج المدينة يأوي إليه غرباء المسلمين الوافدين على المدينة؛ حيث لا يسكنها سوى البراهمة المتشددون الذين يكرهون المسلمين، وتعود أهميتها التجارية كما ذكر ابن بطوطة بفضل مرساها الواسع، وكثرة الفلفل الذي يحمل منها للهند والصين[٢].

مدينة فَنْدرَينا: أشار إليها ابن بطوطة بقوله مدينة كبيرة ذات بساتين وأسواق، ويبدو أن سلطان المسلمين بهذه المدينة كان أفضل حالًا من مدينة بدفتن، فكان للمسلمين بالمدينة ثلاثة أحياء، يضم كل حي مسجد، ويقع مسجدها الجامع على البحر، وقاضيها وخطيبها رجل من أهل عمان[٣]. كما أشار الإدريسي إلى الأهمية التجارية لمدينة فندرينا فذكر أن مرساها تحط به مراكب التجار من جزائر الهند ومراكب السند، وأهلها أغنياء، وأسواقها عامرة، كما أشار إلى وجود جبل عال كثير الشجر في شمال المدينة، تنتشر به القرى والمواشي، وتنبت في حوافيه نبات القلقل[٤] ومنها تحمل إلى سائر أقطار الأرض[٥].

مدينة قَالِقُوط: زارها ابن بطوطة أثناء سفارته، وذكر أنها إحدى المدن الكبيرة ببلاد المليبار، ومرساها من أعظم المراسي، وللمدينة دور تجاري كبير حيث يقصدها أهل الصين، وسيلان (سيرلانكا)، والمهل (جزر المادليف)، وأهل اليمن وفارس، ويجتمع بها تجار الآفاق، وبها أمير التجار إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين، ومن هذه المدينة تقلع السفن إلى بلاد الصين[٦].

---

(١) ذكر ابن بطوطة أن سبب تركهم هذا المسجد غير مهدوم أن أحد البراهمة خرب سقفه ليصنع منه سقفا لبيته فاشتعلت النار في بيته فاحترق هو وأولاده ومتاعه، فاحترموا هذا المسجد ولم يتعرضوا له بسوء بعدها وخدموه وجعلوا بخارجه الماء يشرب منه الصادر والوارد، وجعلوا على بابه شبكة لئلا يدخله الطير. الرحلة، ج٤، ص٤٤.

(٢) الرحة، ج٤، ص٤٣.

(٣) الرحلة، ج٤، ص٤٤.

(٤) القلقل: الاسم العلمي(Abrus): هو جنس من النباتات يتبع الفصيلة البقولية من رتبة الفوليات. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، تاريخ الولوج ٢٠٢٣/١/١م، انظر ملحق (٤).

(٥) نزهة المشتاق، ج١، ص١٩٢.

(٦) الرحلة، ج٤، ص٤٥.

المبحث الرابع

النشاط الاقتصادي للمدن الصينية من خلال سفارة ابن بطوطة إلى الصين:

يصف ابن بطوطة بلاد الصين بقوله:" إقليم الصين متسع كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض، ويخترقه النهر المعروف بآب حياة، معنى ذلك ماء الحياة ... ويمر في وسط الصين مسيرة ستة أشهر إلى أن ينتهي إلى صين الصين وتكتنفه القرى والمزارع والبساتين والأسواق كنيل مصر "[١].

أولًا: النشاط الصناعي:

أشاد ابن بطوطة بتفوق الصناعة الصينية ومهارة الصينيين ومدى براعتهم واتقانهم وإحكامهم وخبراتهم في المجالات الصناعية المختلفة، ووصفهم بقوله:" وأهل الصين أعظم الأمم إحكامًا للصناعات، وأشدهم إتقانًا فيها"[٢].

كما أشاد السيرافي بمهارتهم الصناعية فذكر أن أهل الصين من أحذق أهل الأرض بنقش وصناعة ولا يقدمهم فيه أحد من سائر الأمم[٣].

كذلك أشار المروزي إلى تقدم الصناعة الصينية فذكر أنهم أحذق الناس بالصنائع المهنية لا يدانيهم فيها أحد من الأمم، كما ذكر أن أهل الروم رغم تفوقهم فيها إلا أنهم لا يبلغون مبلغ أهل الصين، ووصف أهل الروم بأنهم يبصرون بعين واحدة يعني أنهم عرفوا نصف العمل[٤].

---

(١) الرحلة، ج٤، ص١٢٤. اختلف الباحثون في تحديد بدء دخول الإسلام إلى بلاد الصين؛ نظرًا لوجود بعض الجهود الفردية لنشر الإسلام داخل هذه البلاد، وذكر البلاذري: أن عامل خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي وجه في بداية حكم الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) قائده عبدالله بن معمر اليشكري إلى بلاد ما وراء النهر، فأوغل في بلادهم، وهم بدخول الصين لولا أن اعترض طريقه القبائل التركية. البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١١.

غير أنه يمكن القول أن العلاقات توطدت بين الخلافة الإسلامية والبلاد الصينية خلال العصر العباسي، ففي عام (١٣٨هـ/٧٥٥م)، قامت ثورة اجتاحت البلاد الصينية، فأرسل الخليفة "أبو جعفر المنصور" خمسة آلاف رجل إلى الصين استجابة لرغبة حاكمها، ثم أرسل الخليفة "هارون الرشيد" وفودًا إلى الإمبراطور الصيني "سوتسنغ" فقابلها بالحفاوة، فكان ذلك سببًا في إقبال التجار المسلمين على البلاد الصينية، فلم يمض سوى القليل حتى استقروا في مدينة "كانتون"، ونشروا الإسلام في النواحي الغربية، واتخذوا لهم قضاة ورؤساء. أتربي أبو العز، عبدالعزيز حمد: نبذه عن الصين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ص١٠- ٢٧.

(٢) الرحلة: ج٤، ص١٣٢.

(٣) رحلة السيرافي، ص٦٠.

(٤) المروزي: شرف الزمان طاهر (ت: ٥١٨هـ/١١٢٥م): أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع طبائع الحيوان، كتبه نحو سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، لندن ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، ص٣.

التنظيمات التجارية ببلاد الصين:

من التنظيمات الاقتصادية التي ساعدت على زيادة النشاط التجاري في بلاد الصين هي تنظيم عملية انتقال الأشخاص بين المدن الصينية، حيث تتم هذه العملية وفق ضوابط معينة تضمن للتجار سلامة بضائعهم، حيث وجُدت الفنادق التي ينزل بها التجار الوافدون من كل جهة، وهو الأمر الذي نال إعجاب ابن بطوطة فذكر أن بلاد الصين كلها آمن للمسافر، فيمكن للإنسان أن يسافر منفردًا مسيرة تسعة أشهر ومعه متاعه وأمواله فلا يخاف عليها، والسبب في ذلك أن لهم في كل منزل ببلادهم فندقًا يرأسه حاكم ومعه جماعة من الفرسان، فإذا جاء الليل حضر الحاكم إلى الفندق ومعه كاتبه فيسجل أسماء جميع من يبيت به وما معه من متاع، ثم يغلق عليهم باب الفندق، فإذا كان الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل إنسان باسمه، وبعث معهم من يوصلهم إلى الفندق الثاني، وهكذا في كل منزل ببلادهم من صين الصين إلى خان بالق، وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج إليه المسافر[١].

وأضاف ابن بطوطة أن التاجر المسلم إذا قدم على بلد من بلاد الصين خُير في النزول عند تاجر من المسلمين المقيمين هناك، أو في الفندق، فإن أحب النزول عند التاجر حُصر ماله وضمنه التاجر المقيم، فإذا أراد السفر بحث عن ماله، فان وجد شيء منه قد ضاع عوضه التاجر الذي ضمنه، وإن أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه، وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه، فإن أراد الزواج اشترى له جارية وأسكنه بدار يكون بابها في الفندق، وانفق عليهما[٢].

وأوضح السيرافي في رحلته أن من أراد السفر داخل البلاد الصينية لابد أن يأخذ كتابين: كتاب من الملك، والآخر من نائبه "الخصي"، أما كتاب الملك فعبارة عن ترخيص للطريق مسجل فيه اسم الرجل واسم من معه وكم عمره وعمر من معه، ومن أي قبيلة هو، وأما كتاب الخصي فيختص بما معه من أموال ومتاع، خاصة وأنه تنشر على طول الطريق بين المدن محطات للتفتيش ينظرون في الكتابين، فإذا ورد عليهم كتبوا :"ورد علينا فلان بن فلان الفلاني في يوم كذا، وشهر كذا وسنة كذا ومعه كذا؛ لئلا يذهب من مال الرجل ولا من متاعه شيء ضياعًا، فمتى ما ذهب منه شيء أو مات، علم كيف ذهب، ورد عليه أو على ورثته من بعده"[٣].

---

(١) الرحلة، ج٤، ص١٣٤.

(٢) الرحلة، ج٤، ص١٣٣.

(٣) رحلة السيرافي، ص٤٣.

ومن أشهر الصناعات والفنون الصينية التي ذكرها ابن بطوطة:

أ- صناعة المراكب:

اهتم ابن بطوطة بوصف المراكب الصينية، وميز بين أنواعها، فذكر أنها ثلاثة أصناف:

الكبار: وتسمى الجنوك مفردها جُنك، والمتوسطة تسمى الزَو، أما المراكب الصغيرة فتسمى الكَكَم.

أما عن كيفية إنشائها فذكر أنها تصنع عن طريق إقامة حائطين من الخشب يصلون بينهما بخشب ضخم موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام، طول المسمار ثلاثة أذرع فإذا التأم الحائطان بهذا الخشب صنعوا على أعلاهما فرش المركب الأسفل ودفعوهما في البحر، وأتموا عمله وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية للماء، ينزلون إليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم.

وعلى جوانبها تكون المجاديف وهي كبيرة الحجم كالصواري يجتمع لتحريك أحدها عشرة رجال أو أكثر يقومون بالتجديف وهم واقفون على أقدامهم، وحركة سيرها بحسب دوران الريح.

والمركب عبارة عن أربعة طوابق، أشبه بالبيوت، يشتمل على غرف للتجار، وغرف للبضائع، ويعمل في المركب الواحد ألف رجل: البحرية ستمائة، والمقاتلة أربعمائة، ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة مراكب مرافقة: النصفي، والثلثي، والربعي، ولا تصنع هذه المراكب إلا بمدينة الزيتون من الصين، أو بصين كلان، وهي صين الصين[١].

أما وكيل المركب فذكر ابن بطوطة أن له حفاوة كبيرة كأنه أمير، ومن مراسمه أنه إذا نزل إلى البر مشت حوله الرماة والحبشة بالحراب والسيوف، وأمامه الأبواق، وإذا وصل إلى مكان إقامته ركزوا رماحهم عن جانبي بابه ولا يزالون كذلك مدة إقامته[٢].

ب- صناعة الفخار:

اشتهر أهل الصين بصناعة الفخار، ويصنع بمدينة الزيتون، وبصين كلان، وقد أشار ابن بطوطة لأسلوب صناعة الفخار الصيني، فذكر أن مادته الأساسية تأخذ من تراب الجبال الصينية تضاف إليه حجارة عندهم، ويوقدون النار عليها ثلاثة أيام، ثم يصبون عليها الماء لتصبح ترابًا، ثم يخمرونه، والجيد منه ما خمر شهرًا كاملًا، أما الذي يخمر عشرة أيام فيكون أقل جودة، وتباع الأواني الفخارية بنفس قيمة الفخار في البلاد الإسلامية، أو أرخص ثمنًا، واشتهرت تجارة الفخار الصيني فيحمل الى الهند وسائر الأقاليم حتى يصل إلى بلاد المغرب وهو أبدع أنواع الفخار[٣].

---

(١) الرحلة، ج٤، ص٤٦.

(٢) الرحلة، ج٤، ص٤٧.

(٣) الرحلة، ج٤، ص١٢٥، أسماء ناصر سليمان: بلاد الصين من خلال رحلة ابن بطوطة (٧٤٣-٧٤٤هـ/١٣٤٢-١٣٤٣م)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ع٧٥، مايو١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م، ص٦٣،٦٤.

كما أشار ابن خرداذبة والمروزي إلى جودة الفخار الصيني المصنوع من الغضار الجيد، كما أنه يعد من السلع التجارية التي تصدر إلى العديد من الجهات حول العالم[١].

ج- **صناعة النسيج:**

ازدهرت صناعة النسيج ببلاد الصين، وقد أشاد المرزوي إلى ذلك فقال:" وأما صنعة الثياب الملبوسة والمفروشة فلهم فيها نيقة ومهارة ولا يبلغها أحد من الأمم"[٢].

ولعل ذلك يعود إلى تربية دودة القز التي تلتف حول شجر التوت وتأكل منها[٣] فلا تحتاج إلى كثير من المؤنة لإنتاج الحرير، ولذلك فإن صناعة هذا النوع من اللباس اختص بطبقة الفقراء؛ لأنه رخيص الثمن، بعكس الأقمشة القطنية الباهظة الثمن، حيث يباع الثوب الواحد من القطن عندهم بأثواب كثيرة من الحرير[٤].

كما ذكر ابن بطوطة أن أفضل أنواع الأقمشة الصينية التي تصنع من الحرير تسمى " الكُمخا"، وتصنع هذه الثياب في مدينة الزيتون ومدينة الخنسا[٥]، وتنست هذه الأقمشة إلى مدينة الخنسا فتسمى الثياب الخنساوية[٦].

وذكر السيرافي أن أهل الصين جميعهم يلبسون الحرير في الشتاء والصيف، غير أن الملوك يلبسون الجيد منه، وفي الشتاء يلبس الرجل السروالين، والثلاثة، والأربعة، والخمسة، وربما أكثر من ذلك بغرض التدفئة، وأما الصيف فيلبسون القميص الواحد من الحرير[٧].

د- **العملة الصينية " دراهم الكاغد":**

اهتم الصينيون بطباعة العملة لتسهيل المعاملات التجارية، وذكر ابن بطوطة أن العملة الصينية هي الكاغد، فأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم، وإنما بيعهم وشراءهم بقطع كاغد، كل قطعة منها قدر الكف، مطبوعة بطابع السلطان، وإذا قَدِمت الأوراق يذهبون بها إلى دار السكة ويستبدلها بأخرى جديدة بدون أن يدفع شيء، ومن قطع الكاغد ما يسمى "بالِشت" وقيمتها خمس وعشرون

---

(١) ابن خرداذبة: أبوالقاسم عبيد الله بن عبدالله (ت. نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م): المسالك والممالك، دار صادر أفست، بيروت ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، ص٦٩، رحلة السيرافي، ص٣٩.

(٢) أبواب في الصين، ص٤.

(٣) رحلة السيرافي، ص٥٤.

(٤) الرحلة، ج٤، ص١٢٧.

(٥) كما كانت تصنع ثياب الكمخا ببغداد وتبريز وبنيسابور. الرحلة، ج٤، ص٧.

(٦) الرحلة، ج٤، ص١٣٤.

(٧) رحلة السيرافي، ص٣٢.

قطعة، وإذا ذهب إلى السوق أحد بدرهم أو دينار لم يؤخذ منه، ولا يلتفت إليه حتى يصرفه بالبالشت، ويشتري به ما أراد [١].

وفي موضع آخر أشار ابن بطوطة إلى أن أهل جزيرة الجاوة بيعهم وشراءهم بقطع القصدير، وبالذهب الصيني التبر غير المسبوك[٢].

هـ- فن الرسم التصوير:

برع أهل الصين في فن الرسم والتصوير الأمر الذي نال إعجاب ابن بطوطة، فقال:" وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه، ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت إليها إلا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الأسواق ... فجعل كل واحد منا ينظر إلى صورة صاحبه لا تخطيء شيئًا من شبهه، وذكر لي أن السلطان أمرهم بذلك وأنهم أتوا إلى القصر ونحن به فجعلوا ينظرون إلينا ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك، وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمر بهم وتنتهي حالهم في ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا صورته إلى البلاد وبحث عنه فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذ"[٣].

---

(١) الرحلة، ج٤، ص١٢٩، أتربي أبوالعز، عبدالعزيز حمد: نبذه عن الصين، ص٣٢.

(٢) الرحلة، ج٤، ص١١٣.

(٣) الرحلة، ج٤، ص١٣٢، أسماء ناصر: بلاد الصين، ص٦٨.

ثانيًا: النشاط الاقتصادي للمدن الصينية:

مدينة الزيتون: ذكر ابن بطوطة أن هذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند، وإنما هو اسم وضع لها، وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب من أفضل أنواعه "الكُمخا، والأطلس"، وتعرف بالنسبة إليها، وتفضل على الثياب الخنساوية، ومرساها من أعظم مراسي الدنيا، أو هو أعظمها، فهو يقع على خليج كبير وواسع تصل مياهه إلى البر حتى تلتقي بمصب النهر الأعظم، ومن سعة ميناءها ذكر ابن بطوطة أنه شاهد به نحو مائة مركب من الحجم الكبير التي تعرف باسم الجُنك، وأما الصغار فلا تحصى كثرة(١).

وأعجب ابن بطوطة بتخطيط مدينة الزيتون، حيث المساحات الخضراء الشاسعة والبساتين تتوسطها الدور، ولكل دار بستان خاص به، وأرض مخصصة للزراعة، ويرى أن هذا ما جعل المدن الصينية كبيرة وواسعة(٢).

أما عن أوضاع المسلمين بالمدينة المذكورة، فيشبه إلى حد كبير أوضاعهم في غيرها من المدن الصينية، فالمسلمون منعزلون في مدينة على حدة، يترأسهم شيخ الإسلام القائم على شؤونهم كمال الدين عبدالله الأصفهاني، والقاضي تاج الدين الأردويلي، ويكثر التجار بالمدينة، وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار إذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح ويعطونه من أموالهم، ويقع خارج المدينة زاوية للشيخ برهان الدين الكازروني(٣).

مدينة صين كلان: ويسميها أهلها " صين الصين"، تقع هذه المدينة على الساحل الجنوبي للصين عند مصب نهر آب حياة في البحر، وبهذه المدينة يصنع الفخار، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الصين، وإلى بلاد الهند واليمن، ويعد ميناءها من أكبر الموانئ التجارية؛ حيث تجتمع فيه السلع الصينية وتلك القادمة من الجهات الأخرى(٤).

وأضاف ابن بطوطة أن مدينة صين كلان من أكبر المدن وأحسنها أسواقًا، ومن أعظم أسواقها سوق الفخار، ويقع في وسطها معبد كبير له تسعة أبواب، داخل كل باب أسطوان ومصاطب يجلس عليها الساكنون بها، وبين البابين الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان وأهل الزّمانات (المعوقين)، ويتولى المعبد النفقة عليهم، كما يتولى النفقة على الأيتام والأرامل، وفي

---

(١) الرحلة، ج٤، ص١٣٤،١٣٥.

(٢) الرحلة، ج٤، ص١٣٥.

(٣) الرحلة، ج٤، ص١٣٥.

(٤) رحلة السيرافي، ص٢٣، وردت عنده تحت اسم "خانفوا"، رحلة ابن بطوطة، ج٤، ص١٣٧.

داخله مستشفى لمعالجة المرضى، وذكر أيضًا أن هذا المعبد من بناء بعض ملوكهم، وأوقف عليه ما حوله من القرى والبساتين، وبداخل المعبد صورة هذا الملك يقدسها أهل المدينة[١].

أما بالنسبة لحال المسلمين بمدينة صين كلان فكانوا أحسن حالًا، فقد كان للمسلمين بلدة داخل المدينة، وبداخلها الجامع، والزاوية، والسوق، وقاض، ويتولى أمورهم شيخ – ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام– تكون أمور المسلمين راجعة إليه[٢].

مدينة الخنسا: من أكبر المدن الصينية مساحة، وأكثرها عمرانًا، حيث يجتمع فيها جنسيات مختلفة، بالإضافة إلى طوائف كثيرة من اليهود والمسيحين والمسلمين، وهي على نفس تخطيط المدن الصينية حيث البساتين التي تتوسطها الدور، ومدينة الخنسا منقسمة إلى ست مدن على كل مدينة سور، ويحيط بجميعها سور واحد، ويسكن بكل مدينة فئة معينة، فالمدينة الأولى منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم، وعددهم اثنا عشر الفًا، والمدينة الثانية يعرف بابها بباب اليهود، ويسكن بها اليهود والنصارى والأتراك الذين يعبدون الشمس.

وخصص لسكنى المسلمين المدينة الثالثة، وهي من أجمل المدن، ذات أسواق كثيرة منظمة ومرتبة كترتيبها في البلاد الإسلامية، وبها المساجد والمؤذنون، ويمارس المسلمون شعائرهم بكل حرية، فذكر ابن بطوطة أنه سمع آذان الظهر عند الدخول إليها، وبالمدينة زاوية تعرف بالعثمانية، حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة، وبها طائفة من الصوفية، وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير، وتقع دار الإمارة بالمدينة الرابعة وبها سكنى الأمير الكبير أمير أمراء الصين، ويدعى الأمير" قُرْطَي" ، ودار الإمارة في وسط المدينة، ومعه الوزير، وحراسه، وخدامه، وتعد المدينة الرابعة أجمل المدن الست وأعظمها، حيث يشقها ثلاثة أنهار مما يتيح إمكانية التواصل والتنقل بين مدينة الأمير قرطي وغيرها من المدن بواسطة السفن الصغيرة، وتستخدم هذه السفن في نقل الطعام، والأحجار، وتستخدم أيضًا للنزهة، وفيها الصناع يصنعون الثياب النفيسة، وبها أيضًا مصانع لصناعة آلات الحرب، ويبلغ عدد الصناع بها الف وستمائة معلم، كل واحد منهم يتبعه الثلاثة والاربعة من المتعلمين.

بينما يسكن عامة الصينين في المدينة الخامسة، وهي المدينة الصناعية، ذات أسواق حسنة، ومصانع كثيرة، ومن أشهر مصانعها مصانع النسيج حيث تصنع بها الثياب الخنساوية، ومن منتجات المدينة التي أعجبت ابن بطوطة أطباقا يسمونها "الدّست"، وتصنع من القصب وقد ألصقت قطعه بطريقة بديعة وتدهن بصبغ أحمر مشرق، ثم ينظمونها فيضعون هذه الأطباق عشرة

(١) الرحلة، ج٤، ص١٣٧.

(٢) الرحلة، ج٤، ص١٣٨.

واحدًا في جوف آخر ويصنعون غطاء يغطي جميعها، ومن خصائصها أنها إذا وقعت من مكان مرتفع فلا تنكسر، وإذا وضع فيها الطعام ساخنًا فلا يؤثر على صبغتها ، وراجت تجارة هذه الأواني الصينية في بلاد الهند وخراسان وسواها.

أما المدينة الأخيرة فذكر ابن بطوطة أنها اختصت بسكنى طائفة الصيادين لكون المدينة تقع على الساحل كما يسكنها طائفة النجارين، بالإضافة إلى عناصر الجيش من الرماة والمشاة، وهذه المدينة تعد آخر أعمال الصين[١].

مدينة خان بالق: وهي تقع شمال بلاد الصين، وتسمى أيضا خانقو، وصل إليها ابن بطوطة عن طريق النهر، وذكر أن البساتين، والقرى، والمزارع منتظمة بجانبي هذا النهر من مدينة الخنسا إلى مدينة خان بالق، وذلك مسيرة أربعة وستين يوما، ومدينة خان بالق هي عاصمة بلاد الصين، ومقر سلطانهم الذي يلقب بالقان، وتتسع مملكته لتشمل بلاد الصين والخِطا، وهي من أعظم مدن الدنيا، وهي ليست كسائر بلاد الصين فالبساتين تقع خارج المدينة، والقان سمة لكل من يلي الملك، وتعني: ملك الأقطار، واسمه بَاشايْ[٢].

وحرص ابن بطوطة على وصف قصر القان أثناء سفارته فذكر أن قصره يقع في وسط المدينة، استخدم في عمارته الخشب المنقوش، وعليه سبعة أبواب: فالباب الأول منها يجلس به أمير البوابين ويدعى "الكتوال"، وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره، حيث يجلس المماليك الذين يعرفون بالبرددارية، وعددهم خمسمائة رجل، وهم مكلفون بخدمة غرف الملك، والباب الثاني يجلس عليه الرماة، ويعرفون بالنّزدارية، وعددهم خمسمائة، والباب الرابع يجلس عليه حاملي السيوف ويعرفون بالتّغدارية، وخصص لأعضاء الإدارة الباب الخامس حيث موضع ديوان الوزارة، وبه سقائف كثيرة، فالسّقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة، ويسمى المسند، وبين يدي الوزير دواة عظيمة من الذهب، وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السر، وعن يمينها سقيفة كتاب الرسائل، وعن يمين الوزير سقيفة كتاب الأشغال، وتقابل هذه السقائف دواوين أخرى منها ديوان الإشراف والمراقبة، وديوان المستخرج المكلف بالإقطاع، والديوان الثالث هو ديوان الغوث، أو ديوان المظالم، ومكلف بالعلم فيه أحد الامراء الكبار ومعه الفقهاء والكتاب، والرابع ديوان البريد يجلس فيه أمير الإخباريين، ويقيم في الباب السادس من أبواب القصر "الجندارية" (أصحاب السلاح) وقائدهم، أما الباب السابع فيقيم عليه الفتيان، ولهم ثلاث سقائف: إحداها سقيفة

---

(١) الرحلة، ج٤، ص١٤٥- ١٥١.

(٢) الرحلة، ج٤، ص١٥١،١٥٢.

الحبشان منهم، والثانية سقيفة الهنود، والثالثة سقيفة الصّينيين، ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين[١].

وأضاف ابن بطوطة أن المدينة بها جالية من المسلمين لهم حظوة ومكانة عند القان يأتي على رأسهم شيخ الإسلام الشيخ برهان الدين الصاغرجي- الذي استضاف ابن بطوطة أثناء إقامته بالمدينة- وهو مقدم على جميع المسلمين بأمر القان، كما أضاف أن المدينة ليست بدار مقام للتجار، فيمرون عليها أثناء رحلاتهم التجارية، ويكثر فيها الزرع، والفواكه، والسكر[٢].

(١) الرحلة، ج٤، ص١٥٢،١٥٣.

(٢) الرحلة، ج٤، ص١٥١،١٥٢.

المبحث الخامس

الحياة الاجتماعية في بلاد الهند والصين من خلال سفارة ابن بطوطة:

اهتم الرحالة ابن بطوطة بذكر بعض ملامح المجتمع الهندي والصيني خلال سفارته، ومن أهم تلك الملامح:

- أن طائفة البراهمة الدينية في الهند يجيدون صناعة الطب والتنجيم، ويطلق على شرفاءهم اسم "الكتريون"، ومن عادتهم أنهم يأكلون الأرز، والخضر، ودهن السمسم، ولا يعذبون الحيوان ولا يذبحونه، ويغتسلون للأكل كغسل الجنابة، ولا ينكحون في أقاربهم إلا فيمن كان بينهم وبينه سبعة أجداد، ولا يشربون الخمر[١].

- أن نساء جزيرة قُوقَة لا يلبسن المخيط، إنما يلبسن ثيابًا غير مخيطة تحتزم إحداهن بأحد طرفي الثوب وتجعل باقيه على رأسها وصدرها، ولهن جمال وعفاف، وتجعل إحداهن خرص ذهب في أنفها، ومن خصائصهن أنهن جميعا يحفظن القرآن العظيم[٢].

كما يلبسن فوطة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل وسائر أجسادهن مكشوفة، ويمشين في الأسواق وغيرها هكذا، كما يلبسن الأساور وتجعل المرأة منها جملة في ذراعيها بحيث تملأ ما بين الكوع والمرفق، وهذا الحُلي من الفضة ولا يجعل أساور الذهب إلا نساء السلطان وأقاربه، ويتزين كذلك بالخلاخيل ويسمونها "البايل"، ويجعلن على صدروهن قلائد ذهب يجعلنها ويسمونها "البسدرد"[٣].

وأشار ابن بطوطة أن التزوج بهذه الجزائر سهل لقلة الصداق وحسن معاشرة النساء، ولا يرى نساؤها بأسًا من التزوج بالقادمين عليهم، فإذا أرادوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة، وهن لا يخرجن عن بلادهن أبدًا، ويميز نساء هذه الجزر بحسن المعاشرة ، ولا تكل المرأة عندهم خدمة زوجها إلى سواها بل هي تأتيه بالطعام وترفعه من بين يديه وتغسل يده وتأتيه بالماء للوضوء ، ومن عوائدهن ألا تأكل المرأة مع زوجها، ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة[٤].

- أما نساء جزيرة سيلان فيتزين بالقلائد من الياقوت، ويضعنه في أيديهن وأرجلهن، وذلك لأن الياقوت كثير بهذه الجزيرة، حيث يوجد الياقوت في جميع مواضعها، فيقوم الشخص باستخراج الياقوت من جوف الأرض عن طريق الحفر فيجد أحجارًا بيضاء مشعبة، وهي التي يكون الياقوت في أجوافها فيعطيها الحكاكين فيحكونها حتى تنفلق عن أحجار الياقوت، فمنه الأحمر، ومنه

---

(١) الرحلة، ج٤، ص٢٧.

(٢) الرحلة، ج٤، ص٣٤.

(٣) الرحلة، ج٤، ص٦٠.

(٤) الرحلة، ج٤، ص٦١.

الأصفر، ومنه الأزرق ويسمونه "النَيْلَم"، فإذا بلغت أحجار الياقوت إلى مائة "قَنَم"، بفتح الفاء والنون، يأخذه السلطان ويعطي ثمنه، وإذا ما نقص ثمنه عن تلك القيمة فهو لأصحابه، وصرف مائة فنم ستة دنانير من الذهب(١).

– أما بلاد البَرَهْنَكَار: فنساؤهم ذات جمال بارع، ويستترون بأوراق الشجر، أما الرجال فذكر ابن بطوطة أنهم على مثل صورنا إلا أن أفواههم كأفواه الكلاب، وهم عرايا لا يستترون إلا أن الواحد منهم يجعل ذكره وأنثييه في جعبة من القصب منقوشة معلقة من بطنه، وهذه الطائفة من الهمج لا يرجعون إلى دين الهنود ولا إلى غيره، وسكناهم في بيوت قصب مسقوفة بحشيش الأرض على شاطئ البحر، ومعهم جماعة من المسلمين من أهل بنجالة، والجاوة ساكنون في حارة على حدة.

وأضاف ابن بطوطة أنهم يتناكحون كالبهائم لا يستترون، ويكون للرجل منهم أكثر من ثلاثين امرأة وأنهم لا يزنون وإذا زنا أحد منهم فحد الرجل أن يصلب حتى يموت، أو يأتي صاحبه أو عبده فيصلب عوضًا منه ويسرح هو، وحد المرأة أن يأمر السلطان جميع خدامه فينكحونها واحدًا بعد واحد بحضرته، حتى تموت ويرمون بها في البحر، ولأجل ذلك لا يتركون أحدًا من أهل المراكب ينزل إليهم إلا إن كان من المقيمين عندهم، وإنما تتم معاملاتهم التجارية على الساحل ويسوقون إليهم الماء على الفيلة لأنه بعيد من الساحل ولا يتركونهم لاستقائه خوفًا على نسائهم لأنهن يرغبن في الرجال الحسان(٢).

– ومن أهم ملامح المجتمع الهندي حبهم للغناء حيث وجد سوق للمغنيين والمغنيات بمدينة دولة أباد تسمى طرب أباد، وهذا السوق من أجمل الأسواق وأكبرها، فيه الدكاكين الكثيرة، كل دكان له باب يفضي إلى دار صاحبه، والدكان مزين بالفرش، وفي وسطه سرير كبير تجلس فيه المغنية، وهي متزينة بأنواع الحلي وجواريها حولها، وأمير المطربين يجلس في وسط السوق فوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة بعد صلاة العصر يوم الخميس من كل أسبوع، وبين يديه خدامه ومماليكه، وتأتي المغنيات طائفة بعد أخرى فيغنين بين يديه ويرقصن إلى وقت المغرب ثم ينصرف، وفي السوق مساجد للصلاة، وكان بعض سلاطين الكفار بالهند إذا مر بهذه السوق ينزل بقبتها، ويغني المغنيات بين يديه، وقد فعل ذلك بعض سلاطين المسلمين أيضًا(٣).

---

(١) الرحلة، ج٤، ص٨١.
(٢) الرحلة، ج٤، ص١٠٧.
(٣) الرحلة، ج٤، ص٢٥.

- أن سكان جزائر ذيبة المَهَل يهتمون بنظافة أجسادهم من الأقذار، وأكثرهم يغتسلون مرتين في اليوم نتيجة كثرة العرق من شدة الحر، كما يكثرون من وضع العطور كالصندلية.

ومن عادات الرجال بتلك الجزر أنهم يضعون الكُحل في أعينهم فإذا صلوا الصبح أتت كل امرأة إلى زوجها أو ابنها بالمكحلة وبماء الورد فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد ودهن الغالية، فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عن وجهه.

ولباسهم فوط يشدون الفوطة منها على أوساطهم عوض السراويل، ويجعلون على ظهرهم ثياب يشبه المحاريم يسمونه "الوِلْيان"، وبعض سكان هذه الجزر يلبس عمامة فوق رأسه، وبعضهم يضع منديلًا صغيرًا عوضًا عنها، وهم يوقرون القاضي والخطيب فإذا لقيهم أحد السكان في الطريق وضع ثوبه على كتفيه وكشف ظهره ولا يتركه حتى يصل إلى منزلة.

ومن عوائدهم أنه إذا تزوج الرجل منهم ومضى إلى دار زوجته بسطت له ثياب القطن من باب دارها إلى باب البيت، وتظل الزوجة واقفة عند باب البيت تنتظره فإذا وصل إليها رمت على رجليه ثوبًا يأخذه خدامه، وإن كانت المرأة هي التي تأتي إلى منزل الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول إليه الثوب على رجليه[١].

وجميع سكان تلك الجزر يسيرون حفاة الأقدام من رفيع ووضيع، ولذلك يعتنون بتنظيف أزقتهم وتظليلها بالأشجار، فالماشي بها كأنه في بستان، ومع ذلك لا بد لكل داخل إلى الدار أن يغسل رجليه بالماء، ويمسحها بحصير غليظ من اللّيف، ثم يدخل بيته، وكذلك يفعل كل داخل إلى المسجد[٢].

- كذلك من ملامح المجتمع الهندي أنهم بارعون في أعمال السحر والشعوذة، كطائفة الجوكية، وذكر ابن بطوطة أن هؤلاء الطائفة تظهر منهم عجائب، منها أن أحدهم يظل الأشهر لا يأكل ولا يشرب، ويخبرون بأمور غيبية والسلطان يعظمهم ويجالسهم، ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميتًا من نظرته[٣].

- ومن مراسم دفن الموتى الرسمية التي شاهدها ابن بطوطة في الصين أثناء دفن القان[٤]، فذكر أنه جيء به وبنحو مائة من المقتولين معه من أقاربه وخواصه، فحفر للقان بيت تحت

---

(١) الرحلة، ج٤، ص٥٧-٥٨.

(٢) الرحلة، ج٤، ص٥٨، ٥٩.

(٣) الرحلة، ج٤، ص٢١، للمزيد حول هذه الطائفة، ينظر ج٤، ص٢١، ٣١.

(٤) ذكر ابن بطوطة أن وفاة القان كانت بسبب الحرب بينه وبين ابن عمه فيروز القائم عليه بناحية قراقرم من بلاد الخطا وبينها وبين الحضرة مسيرة ثلاثة أشهر، وسبب هزيمته انضمام بعض أمراءه إلى ابن عمه، واتفقوا على خلعه لأنه كان قد غير أحكام اليساق، وهي الأحكام التي وضعها تنكيز خان جدهم، فمضوا إلى ابن عمه القائم، وكتبوا إلى القان أن يخلع نفسه وتكون مدينة الخنسا إقطاعًا له فرفض ذلك وقاتلهم فانهزم وقتل. الرحلة، ج٤، ص١٥٤.

الأرض يسمى "ناووس"، وفرش بأحسن الفرش، ووضع فيه القان ومعه سلاحه، وما كان في داره من أواني الذهب والفضة، وأربع من الجواري، وستة من خواص المماليك، ومعهم أواني شراب، وبنى باب البيت، ثم ردم حتى صار كالتل العظيم، ثم جاءوا بأربعة خيول فأجاروها عند قبره ونصبوا خشبًا على القبر، وعلقوها عليه بعد أن دخلوا في دبر كل خيل خشبة حتى خرجت من فمه، أما خواص القان فوضعوا أيضًا في نواويس، ومعهم سلاحهم، وأواني دورهم، وصلبوا على قبر كل واحد منهم ثلاثة خيول، وعلى قبور الباقين فرسًا واحدًا.

وثياب العزاء الطيالسة البيض للكفار، ولبس المسلمون الثياب البيض، وظل خواتين القان وخواصه في الأخبية حول قبره أربعين يومًا، وصنعت هنالك سوق يباع فيها ما يحتاجون إليه من طعام وسواه، أما الهنود والكفار فيحرقون موتاهم[١].

- ومن عادات أهل الصين أنهم يبيعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيبًا عندهم، غير أنهم لا يكرهون على السفر مع مشتريهم، ولا يمنعون أيضًا منه إن اختاروه[٢].

عناصر السكان في بلاد الهند والصين:

من خلال سفارة ابن بطوطة يمكن تقسيم عناصر السكان إلى قسمين: المسلمين، والكفار (البوذيين، والهندوس)، فللمسلمين مدنهم، وللكفار مدنهم، وبصفة عامة يمكن القول أنهم جميعًا يعيشون في سلام، - عدا بعض الجهات[٣]-، وأشار ابن بطوطة إلى أن المدن التي تضم جاليات إسلامية يرجع أمرهم إلى شيخ الإسلام هناك، الذي ينال كل رعاية وتقدير من قبل السلطة الحاكمة، كذلك لهم قاض مسلم يرجع إليه في أحكامهم، ومسجد جامع لإقامة الشعائر الإسلامية، وزاوية[٤].

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ج٤، ص١٥٥.

(٢) الرحلة، ج٤، ص١٣٤.

(٣) ذكر ابن بطوطة أثناء زيارته لمدينة "كول" صورة من صور اعتداء كفار الهنود على المسلمين ببلدة الجلالي، فقال: أن كفار الهنود حاصروا بلدة الجلالي، وأحاطوا بها، وقتلوا أهلها، حتى أشرفوا على الهلاك، وكان الكفار ينزلون من جبل منيع فيغيرون على نواحي بلدة الجلالي، فكان على المسلمين التصدي لهم. الرحلة، ج٤، ص١١.

وأشار في موضع آخر أن سلطان مدينة "جنبيل" الكافر، ويدعى "قتم" كان دائم العداء للأمير خطاب الأفغاني حاكم مدينة رابري، وحاصر مدينته واستعان عليه بحاكم كافر مثله، فبعث خطاب إلى سلطان الهند يطلب منه الإغاثة، ثم جمع الأمير خطاب قبيلته، وجعلوا العمائم في أعناق خيلهم، -وهي عادة أهل الهند إذا أرادوا الموت-، وحملوا على الكفار حملة واحدة وكانوا نحو خمسة عشر ألفًا فهزموهم، وقتل السلطان قتم، وأرسلوا رأسه إلى السلطان ولم ينج منهم إلا القليل. الرحلة، ج٤، ص١٨.

(٤) الرحلة، ج٤، ص١٣٩.

كما ذكر ابن بطوطة أن المسلمين ببلاد الهند والصين لم يكونوا على مذهب واحد فهم مختلفون كاختلافهم في بلدان العالم الإسلامي، فأهل مدينة هِنَوْر شافعية المذهب[١]، وفي مدينة مَنْجَرُور جالية إسلامية عددها أربعة آلاف يسكنون ربضًا بناحية المدينة، وربما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة فيصلح السلطان بينهم لحاجته إلى التجار، وبها قاض من الفضلاء الكرماء شافعي المذهب[٢].

وأشار ابن بطوطة إلى سلطان الجاوة الملك الظاهر شافعي المذهب يحبه الفقهاء، ويحضرون مجلسه العلمي، وأهل بلاده شافعية، والكفار يعطونهم الجزية على الصلح[٣].

أما أهل جزائر ذيبة المَهَل فكلهم مسلمون، وهي منقسمة إلى عدة أقاليم، على كل إقليم وال يسمونه "الكردوبي"، وأهل هذه الجزائر تمذهبوا بمذهب الإمام مالك، وذكر ابن بطوطة أنهم كانوا كفارًا، وكان لهم معبد يضم العديد من الأصنام، ثم تحولوا إلى الإسلام بعد أن قدم عليهم رجل مغربي يسمى بأبي البركات البربري، وتذهبوا بمذهبه المالكي[٤].

كما أشار ابن بطوطة إلى وجود جالية إسلامية رافضية بمدينة كولم – وهذه المدينة أول ما يوالي الصين من بلاد المليبار–، فذكر أن بالمدينة جماعة من التجار المسلمين كبيرهم علاء الدين الأوجي من أهل أوه، من بلاد العراق، وهو رافضي ومعه أصحاب له على مذهبه، وهم يظهرون ذلك[٥].

– كذلك كانت البوذية من الديانات الحاضرة في رحلة ابن بطوطة، فذكر بعض قوانينهم وأعرافهم، ومنها أن السارق ببلاد المليبار في الهند يقتل على الجوزة الواحدة، فإذا سقط شيء من الثمار لم يلتقطه أحد حتى يأخذه صاحبه، وذكر أيضًا أن أحد الهنود التقط جوزة وقعت على الطريق، وعرف الحاكم بخبره فقبض عليه، "وأمر بعود فركز في الأرض وبري طرفه الأعلى وأدخل في لوح خشب حتى برز منه، ومد الرجل على اللوح وركز في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للناظرين، ومن هذه العيدان على هذه الصورة بتلك الطرق كثير ليراها الناس فيتعظوا"[٦].

---

(١) الرحلة، ج٤، ص٤، ص٣٣.

(٢) الرحلة، ج٤، ص٤٠.

(٣) الرحلة، ج٤، ص١١٤.

(٤) الرحلة، ج٤، ص٦٢،٦٣.

(٥) الرحلة، ج٤، ص٤٩.

(٦) الرحلة، ج٤، ص٣٦.

وذكر السيرافي بعض طقوسهم، فقال: أن البدّ (الصنم) في بلاد المولتان يقصد من مسيرة أشهر، ويحمل الزوار معهم العود الهندي القامروني– وهو أفخر أنواعه– ثم يدخلون به على الصنم، ويدفعونه إلى السدنة لبخور الصنم، وقيمة هذا العود مائتي دينار، والتجار يبتاعونه من هؤلاء السدنة[١].

وقد تعرض البيروني لوصف تمثال البوذا، فقال: هو صنم على هيئة شاب جالس، أكهب[٢] الشعر، يمد يديه إلى الأمام حتى تبلغ ركبتيه، كأنه أب الخلق[٣].

– أما الهندوسية فوجدت في مدينة كُنَكَار الهندية، وهي حاضرة السلطان بتلك البلاد، وهم يحترمون المسلمين، ومن أحكامهم أنه من ذبح بقرة ذبح مثلها أو جعل في جلدها وحرق[٤].

وأشار ابن بطوطة عن نظرة الهندوس إلى المسلمين فعلى الرغم من احترامهم للتجار المسلمين إلا أنهم لا يؤاكلونهم ولا يدخلونهم دورهم، وإذا رأوهم تنحوا عن الطريق حتى يعبروا[٥].

– وبالنسبة لأهل الصين فيبدو أنهم تأثروا بالديانة البوذية في الهند فذكر ابن بطوطة أنهم كفار يعبدون الأصنام، ويحرقون موتاهم، وهم يأكلون لحوم الكلاب الخنازير ويبيعونها في أسواقهم، وعلى الرغم من سعة عيشهم إلا أنهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس، إنما يحتفلون في أواني الذهب والفضة، وجميع السكان يعتمدون في المشي على عكاز، ويقولون هو الرجل الثالثة[٦]، ويهتمون بتزيين منازلهم بالحدائق والتنزهات[٧]، ويسكن في مدينة الخنسا جالية كبيرة من اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس، وأمير هذه المدينة من أهل الصين[٨].

وبالنسبة لأحوال المسلمين فأهل الصين يعظمونهم ويحترمونهم ففي كل مدينة من مدن الصين توجد مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم، ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه، وقاض يقضي بينهم، وبها السوق، والمسجد، والزاوية، ولهم شيخ وقاض[٩].

---

(١) رحلة السيرافي، ص٨٥.

(٢) الكُهبة: علته غبرة مشربة سوادًا في ألوان الإبل. ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين(ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت (ط: ٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص٧٢٨.

(٣) البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي(ت: ٤٤٠هـ/١٠٤٨م): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، طبع عالم الكتاب، بيروت (ط ٣: ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، ص٨٣.

(٤) الرحلة، ج٤، ص٨١.

(٥) الرحلة، ج٤، ص٣٦.

(٦) الرحلة، ج٤، ص١٢٧.

(٧) الرحلة، ج٤، ص١٣٥.

(٨) الرحلة، ج٤، ص١٤٥.

(٩) الرحلة، ج٤، ص١٤٥،١٤٦.

الخاتمة

❖ تعد رحلة ابن بطوطة عملًا فريدًا في تاريخ الحضارة الإسلامية والحضارة الإنسانية، لأنها في صميمها مغامرة طويلة حافلة بالمعلومات الصادقة الدقيقة بالإضافة إلى ما فيها من الغرائب والطرف.

❖ يعد ابن بطوطة من أشهر رحالة العصور الوسطى على الاطلاق؛ فعلى الرغم من طول رحلته التي استمرت ما يقرب من ربع قرن، وصل خلالها إلى بلاد الشرق الأقصى، فقد حرص على نقل مظاهر الحضارة المختلفة في كل محطات الرحلة.

❖ أثارت أخبار ابن بطوطة وحكايته الجدل بين سامعيها بين مكذب ومصدق، (أيضًا رحلة ماركو بولو) وترجع الشكوك في رحلته إلى سببين: الأول: وصول ابن بطوطة إلى مناطق بعيده لم يكن معاصروه يعرفون شيئًا عن عادات أهلها وأنظمة حكمهم، والسبب الثاني: ما تضمنته أخباره من مبالغات التي ربما ذكرها ابن بطوطة بهدف جذب المستمعين إلى رحلته.

❖ إن رحلة ابن بطوطة غنية بالمعلومات الجغرافية والأنثروبولوجية والتاريخية، بقدر ما هي غنية بالحكايات الخرافية والمبالغات الخيالية.

❖ استطاع ابن بطوطة خلال رحلته أن يلقي الضوء على مظاهر الحضارة المختلفة للعديد من البلدان التي زارها، فكانت رحلته بمثابة صورة حية لثقافة تلك الشعوب وحضارتها خلال تلك الفترة.

❖ ازدهرت الحياة الاقتصادية في بلاد الهند والصين خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كما أوضح ابن بطوطة أن الجالية الإسلامية في المدينتين كانا لهما دور ملموس في النشاط التجاري.

المدن الهندية الاقتصادية	المدن الصينية الاقتصادية
كنباية وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة وألف وياء آخر الحروف مفتوحة	الزيتون وضبط اسمها بفتح الزاى وسكون الياء وضم التاء
بلاد المليبار بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة	صين كلان بفتح الكاف
كولم وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وبينهما واو	الخنسا واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة
منجرور وضبط اسمها بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء، وواو وراء ثانية	خان بالق وضبط اسمها بخاء معجم والف ونون مسكن وباء معقودة وألف ولام مكسور وقاف
جرفتن وضبط اسمها بضم الجيم وسكون الراء وفتح الفاء وتشديدها وآخره نون	
بدفتن وضبط اسمها الباء وسكون الدال وفتح الفاء وفتح التاء وتشديدها وآخره نون	
فندرينا وضبط اسمها بفاء مفتوح ونون ساكن ودال مهمل وراء مفتوحين وياء آخر الحروف	
قالقوط وضبط اسمها بقافين وكسر اللام وضم القاف الثاني وآخره طاء مهمل	

❖ **الصناعات الفنون الصينية:**

أ- صناعة المراكب.

ب- صناعة الفخار.

ج- صناعة النسيج.

د- العملة الصينية.

هـ- فن الرسم والتصوير.

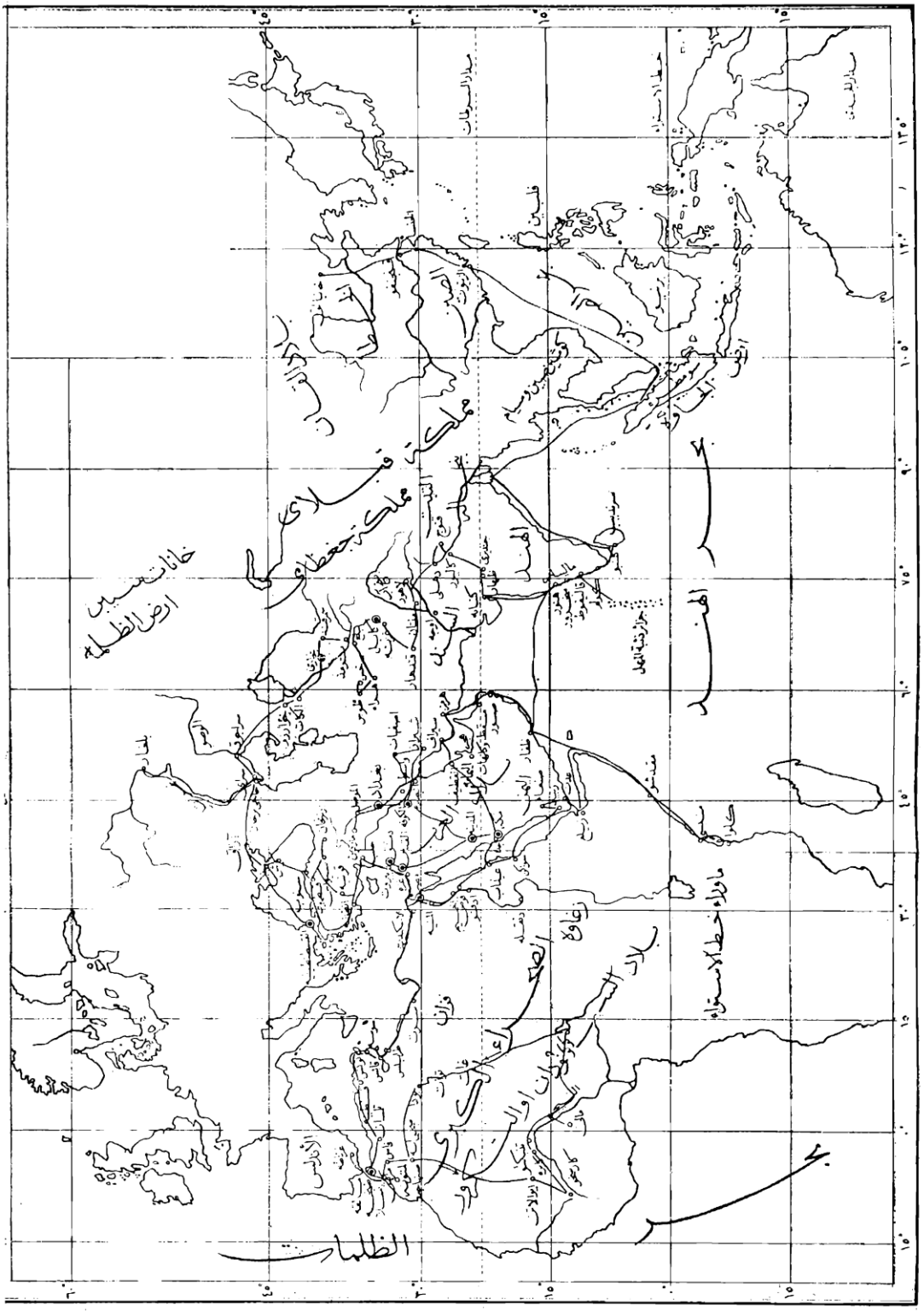

شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته، ص١٧

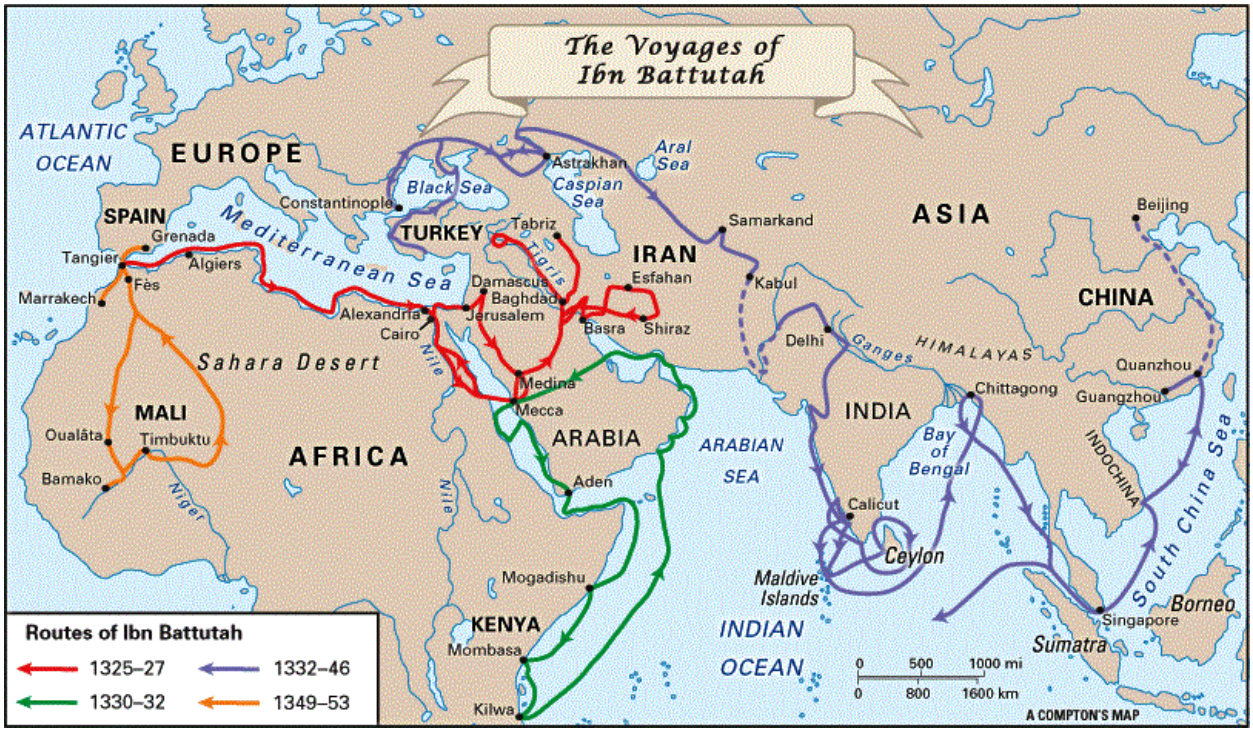

المراحل التي اجتازها ابن بطوطة في رحلته من طنجة إلى الصين، والعودة إلى بلاد المغرب الأقصى، ثم رحلته إلى السودان والأندلس

كرم البستاني: رحلة ابن بطوطة، ص١

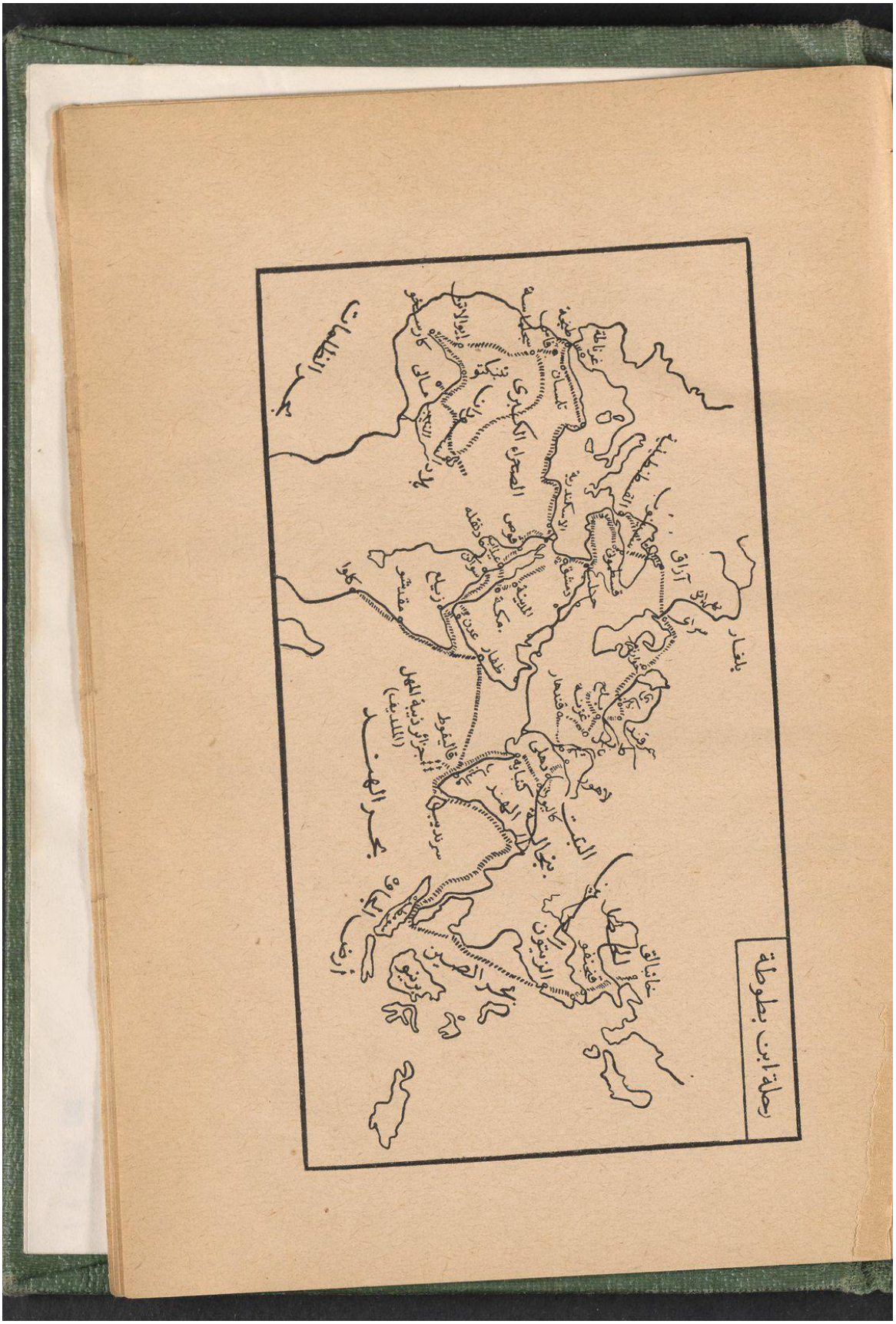

د. إبراهيم العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، ص١٥٣.

نبات القلقل

المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة

قائمة المصار والمراجع

أولًا: المصادر:

- الإدريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، (ط١: ١٤٠٩هـ/١٨٩٩م).
- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ت. عبدالهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- البيروني: أبوالريحان محمد بن أحمد الخوارزمي(ت: ٤٤٠هـ/١٠٤٨م): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، طبع عالم الكتاب، بيروت (ط ٣: ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).
- ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/١٤٢١م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ت. محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد، الدكن– الهند، (ط:٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
- ابن خرداذبة: أبوالقاسم عبيد الله بن عبدالله (ت. نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م): المسالك والممالك، دار صادر أفست، بيروت ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م.
- ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، لسان الدين (ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط:١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ت. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (ط:١، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م).
- السيرافي: أبوزيد حسن بن يزيد السيرافي (ت: بعد ٣٣٠هـ/٩٤١م)، رحلة السيرافي، طبع المجمع الثقافي، أبوظبي ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- شمس الدين الدمشقي: أبي عبدالله محمد بن ابي طالب (ت: ١٣٢٧هـ/١٦١٧م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).
- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني(ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م.
- المروزي: شرف الزمان طاهر (ت: ٥١٨هـ/١١٢٥م): أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان، كتبه نحو سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، لندن ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

- المسعودي: أبي الحسن بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، (ط١: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبوعبدالله الرومي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (ط٢: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
- أتربي أبوالعز، عبدالعزيز حمد: نبذه عن الصين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.
- أحمد العوامري بك، محمد أحمد جاد المولي بك: مهذب رحلة ابن بطوطة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٣٣.
- أحمد محمود الساعاتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة (د.ت).
- أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (د.ت).
- تيلمان ترواش: إعادة كتابة برني؟ وصف سلطة دلهي في رحلة ابن بطوطة/ابن جزي وفي تاريخ فيروز شاه لضياء الدين برني، ترجمة: عبد النبي ذاكر، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة لودفيغ ماكسيميليان، ميونخ، مج٥، ع١، مارس١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م.
- الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، مشورات عكاظ، الرباط- المغرب (د.ت).
- حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته تحقيق وراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة (د.ت).
- شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته، مطبعة الآداب، بغداد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- عبدالرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- فرنسس وُود: ماركو بولو هل وصل إلى الصين؟، ترجمة: فاضل جتكر، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، (ط:١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة (د.ت).
- كرم البستاني: رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، دمشق، (د.ت).
- نفيس أحمد: جهود المسلمين في الجغرافيا، ترجمة: فتحي عثمان، نشر وكالة الصحافة العربية، جمهورية مصر العربية، (ط:١، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

ثالثًا: المجلات والدوريات:

- أحمد الفاسي: موقع رحلة ابن بطوطة في المشاريع السياسية والاقتصادية للسلطان المريني أبي عنان، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- أسماء ناصر سليمان: بلاد الصين من خلال رحلة ابن بطوطة (٧٤٣-٧٤٤هـ/١٣٤٢-١٣٤٣م)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ع٧٥، مايو ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م.
- أسمهان بدير صيداوي: صورة المرأة في رحلة ابن بطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- بدر رحيم الرشيدي، فيصل سيد طه: واقع الخرافة والأسطورة دراسة تاريخية مقارنة بين كتابي الهند لبرزك بن شهريار وتحفة النظار في غرائب الأمصار لابن بطوطة، حوليات آداب عين شمس، مجلد ٤٤، يوليو- سبتمبر ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.
- عبد الإله بلميح: مفهوم اللون في رحلة ابن بطوطة إلى السودان الغربي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- عبدالرحمن العماري: خطاب الرحلة بين ابن بطوطة وماركو بولو، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- عبدالهادي التازي: رحلة ابن بطوطة من خلال ثلاثين مخطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- محمد زنبير: الشرق العربي كما يتراءى من رحلة ابن بطوطة، ، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- محمد المناوي: السودان الغربي من خلال رحلة ابن بطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- مصطفي نشاط: البعد التجاري في رحلة ابن بطوطة إلى السودان، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- يوسف ناوري: صورة الآخر في رحلة ابن بطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- جامعة عبدالمالك السعدي، طنجة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

aymh alm٩ar wlmrag٣

:wlًa: alm٩adrأ

aledry sy : m٧md bn m٧md bn ٣bd allah bn edry s (t: ٥٦٠h): nzhh almshta٨ fy a٥tra٨ alafa٨ ،٣alm alktb ،by r wt ،(٦١: ١٤٠٩h(

abn b٦ w٦h: m٧md bn ٣bd allah bn m٧md bn ebrahy m allwty al٦ngyأ ، b w ٣bd allah (t٧٧٩ h): r٧lh abn b٦ w٦h ،almsmah (t٧fh alnzar fy ٤rayb alأm٩ar w٣gayb alأsfar) ،t. ٣bdalhady altazyأ ، kady my h almmlkh alm٤rby h ،alrba٦ ١٤١٧ .

alby r wnyأ : bwlry ٧an m٧md bn٧أ md al٥wrzmy (t: ٤٤٠h): t٧٨y ٨ ma llhnd mn m٨ wlh m٨b wlh fy al٣٨l أ w mrz wlh ،٦b٣ ٣alm alktab ،by r wt (٦ ٣: ١٤٠٣h.(

abn ٧gr al٣s٨lanyأ : b w alfdl٧أ md bn ٣ly bn m٧md bn٧أ md (t ٨٥٢h): aldrr alkamnh fy٣أ y an almayh althamnh ،t. m٧md ٣bd alm٣y d dan ،mgls dayrh alm٣arf al٣thmany h - ٩y dr abad/ alhnd ،(٦:٢١٣٩٢ ،h / ١٩٧٢m) ،g٥.

abn ٥rdazbhأ :bwl٨asm ٣by d allah bn ٣bdallah (t. n٧ w ٢٨٠h): almsalk wlmmalk ،dar ٩adrأ fst ،by r wt ١٨٨٩m.

abn al٥٦y b: m٧md bn ٣bd allah bn s٣y d alslmany ،lsan aldy n (t ٧٧٦h): ale٧a٦h fy٥أ bar ٤rna٦h ،dar alktb al٣lmy h ،by r wt ،(٦:١ ،١٤٢٤h) ، g١.

abn ٥ld wn: ٣bd alr٧mn bn m٧md (t٨٠٨ : h) ،al٣br wdy wn almbtd أ wl٥br fy tary ٥ al٣rb wlbrbr wmn ٣a٩rhm mn z wy alsl٦an alأkbr ،t. shy l zkar ،dar alfkr ،by r wt ،(٦:١١٤٠١ ، h١٩٨١ - m) ،g١.

alsy rafyأ : b wzy d ٧sn bn y zy d alsy rafy (t: b٣d ٣٣٠h) ،r٧lh alsy rafy ،٦b٣ almgm٣ alth٨afyأ ، b wzby ١٩٩٩m.

shms aldy n aldmsh٨yأ : by ٣bdallah m٧md bn aby ٦alb (t: ١٣٢٧h): n٥bh aldhr fy ٣gayb albr wlbr ،mktbh almthna ،b٤dad (d.t.(

al٨z wy ny : zkry a bn m٧md bn m٧m wd al٨z wy ny (t٦٨٢ :h): athar alblad w٥أbar al٣bad ،dar ٩adr – by r wt ١٤٣١h.

alms٣ wdyأ : by al٧sn bn ٣ly alms٣ wdy (t: ٣٤٦h/٩٥٧m) ،mr wg alzhb wm٣adn alg whr ،rag٣h: kmal ٧sn mr٣y ،almktbh al٣٩ry h ،٩y da- by r wt ،(٦١: ١٤٢٥h/٢٠٠٥m.(

almr wzy : shrf alzman ٦ahrأ :bwb fy al٩y n wltrk wlhnd mnt٥bh mn ktab ٦bay٣ al٧y wn ،ktbh n٧ w snh ٥١٤h ،lndn ١٩٤٢m.

y a٨ wt al٧m wy : shhab aldy nأ b w٣bdallah alr wmy (t: ٦٢٦h): m٣gm albldan ،dar ٩adr ،by r wt ،(٦٢: ١٩٩٩٥m.(

:a almrag٣ al٣rby h wlm٣rbh: thany

ebrahy m٧أ md al٣d wy : abn b٦ w٦h fy al٣alm aleslamy ،dar alm٣arf ،al٨ahrh ١٩٥٤m.

أtrbyأ bwl٣z ،٣bdal٣zy z ٧md: nbzh ٣n al٩y n ،mossh hnda wy llt٣ly m wlth٨afh ،al٨ahrh ١٣١٨h.

٧أmd al٣wmry bk ،m٧md٧أ md gad alm wla bk: mhzb r٧lh abn b٦ w٦h ،alm٦b٣h alأmy ry h ،al٨ahrh ١٩٣٣m.

٧أmd m٧m wd alsa٣aty : tary ٥ almslmy n fy shbh al٨arh alhndy h w٧dartm ،mktbh aladab ،al٨ahrh (d.t.(

٤أna٦y ws y wly an wftsh kratshk wfsky : tary ٥ alأdb alg٤rafy al٣rby ،trgmh: ٩la٧ aldy n ٣thman hashm ،aledarh alth٨afy h fy gam٣h ald wl al٣rby h (d.t.(

ty lman trwsh: e٣adh ktabh brny ؟ w٩f sl٦h dlhy fy r٧lh abn b٦ w٦h/abn gzy wfy tary ٥ fy r wz shah ldy a٢ aldy n brny ،trgmh: ٣bd alnby zakr ،mglh aladab wll٤at wl٣l wm alensany h ،gam٣h l wdfy ٤ maksy my ly an ،my wn٥ ،mg٥ ،٣١ ،mars ٢٠٢٢m

al٧sn alshahdyأ : db alr٧lh balm٤rb fy al٣٩r almry ny ،msh wrat ٣kaz ،alrba٦- alm٤rb (d.t.(

٧sy n f wzy : ٧dy th alsndbad al٨dy m ،m٦b٣h lgnh altأly f wltrgmh wlnshr ،al٨ahrh ١٩٤٣m.

٧sy n mons: abn b٦ w٦h wr٧lath t٧٨y ٨ wrash wt٧ly l ،dar alm٣arf ،al٨ahrh (d.t.(

shakr ٥٩bak: abn b٦ w٦h wr٧lath ،m٦b٣h aladab ،b٤dad ١٩٧١m

٣bdalr٧mn ٧my dh٣أ :lam alg٤rafy y n al٣rb wm٨t٦fat mn atharhm ، dar alfkr ،dmsh٨ ١٤١٦h/ ١٩٩٥m.

frnss wُ wd: mark w b wl w hl w٩l ela al٩y n ،؟trgmh: fadl gtkr ، ٨dms llnshr wlt wzy ٣ ،dmsh٨ ،(٦:١ ،١٩٩٩m.(

karl br wklman: tary ٥ alsh٣ wb aleslamy h ،trgmh: nby hأ my n fars ، mny r alb٣lbky ،dar al٣lm llmlay y n ،by r wt ،al٦b٣h al٥amsh (d.t.(

krm albstany : r٧lh abn b٦ w٦h ،dar alfkr ،dmsh٨ ،(d.t(

nfy s٧أ md: gh wd almslmy n fy alg٤rafy a ،trgmh: ft٧y ٣thman ، nshr wkalh al٩٧afh al٣rby h ،gmh wry h m٩r al٣rby h ،(٦:١ ،٢٠٢١m.(

thalthًa: almglat wld wry at:

٧أmd alfasy : m w٨٣ r٧lh abn b٦ w٦h fy almshary ٣ alsy asy h wla٨t٩ady h llsl٦an almry nyأ by ٣nan ،mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.

أsma٢ na٩r sly man: blad al٩y n mn ٥lal r٧lh abn b٦ w٦h (٧٤٣-٧٤٤h/١٣٤٢-١٣٤٣m) ،mglh b٧ wth alshr٨ al أws٦ ،kly h aladab ،gam٣h ٣y n shms ،٣٧٥ ،may w ٢٠٢٢m.

أsmhan bdy r ٩y da wy : ٩ wrh almrأh fy r٧lh abn b٦ w٦h ،mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.

bdr r٧y m alrshy dy ،fy ٩l sy d ٦h: w٨٣ al٥rafh wlأs٦ wrh drash tary ٥y h m٨arnh by n ktaby alhnd lbrzk bn shhry ar wt٧fh alnzar fy ٤rayb alأm٩ar labn b٦ w٦h ،٧ wly at adab ٣y n shms ،mgld ٤٤ ،y wly w- sbtmr ٢٠١٦m.

٣bd alelh blmy ٧: mfh wm all wn fy r٧lh abn b٦ w٦h ela als wdan al٤rby ،mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.

٣bdalr٧mn al٣mary : ٥٦ab alr٧lh by n abn b٦ w٦h wmark w b wl w ،mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.

٣bdalhady altazy : r٧lh abn b٦ w٦h mn ٥lal thlathy n m٥٦ w٦h ، mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.

m٧md znby r: alshr٨ al٣rby kma y tra٢a mn r٧lh abn b٦ w٦h ، ، mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.

m٧md almna wy : als wdan al٤rby mn ٥lal r٧lh abn b٦ w٦h ،mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.

m٩٦fy nsha٦: alb٣d altgary fy r٧lh abn b٦ w٦h ela als wdan ، mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.

y wsf na wry : ٩ wrh ala٥r fy r٧lh abn b٦ w٦h ،mdrsh almlk fhd al٣ly a lltrgmh- gam٣h ٣bdalmalk als٣dy ،٦ngh ١٩٩٣m.